صاحبها ورئيس تحريرها
مدحت عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

آب
١٩٧٥
ملحق العدد ٣٣

نـــداء

لم يكن في حسباننا ما وجدناه بعد صدور العدد الخـــاص بأديب حماة الكبير الدكتور وجيــه البارودي ··· أجل لم نكن لنتوقع أن نجـد هذا الاهتمام الكبير الذي لقيته هذه الخطوة في الاوساط الادبية كلها ، وعلى امتداد الوطن العربي كله ، فمنذصدور هذا العدد فيمطلع حزيران المنصرم وحتى اليوم تتوالى رسائل التقدير والتشجيــع للاستمرار في هذه البادرة ، وليكون أدباؤنا محط تقدير الناس واكرامهم في حياتهم ، اعترافا بما قدموه لامتهم وبلادهم ·

وعهدا علينا أن نكرس الكثير من الاعداد القابلة لتكريم أدبائنا ممن نعتز بهم ونفتخر ، كالشاعر الكبيرشفيقجبري وبدوي الجبل وعمرأبي ريشة ونزار قبــاني ونديم محمد وغيرهم ··· ليس هذا فحسب ، بل اننا سنعمد الى اصدار أعداد أخرىعن أدباء الاقطار العربية كالشاعر أمين نخلة من لبنان ، والجواهري من العراق ·

وأمام هذا العهد نطلب من أدبائنا موافــاتنا بمعلوماتهم عن هؤلاء الشعراء ·· وفي انتظار دراساتهم نســـأل الله العون والتوفيق لنا في خطوتنا الجديدة ··

رئيس التحرير

انسانية الحرب عند العرب

ثريا ملحس

تمهيد :

تناقض كبير واضح بين الانسانية والحرب • الانسانية تتعلق بالمحبة ، بالرفق ، بالرأفة ، بالعدل ، بالحق ،

تسعى أبدا لاسعاد الانسان كيفما كان ، أينما كان مهما كان • حتى القاتل في نظر الانسانية مرغم على فعلته ،

منحرف عن الخط • فالقاتل لا يقتل في نظر الانسانية بل يعالج • دوما تسعى الى اعادة الخط المنحرف الى الاستقامة ، الى ما يجب أن يكون عليه • فالانسانية مرتبطة بالعقل الأعلى ، بالدماغ الفوقي الكبير ، لذلك فهي ، جملة وتفصيلا ، نقيض الحرب • فالحرب هي انحراف عن الخط ، عن الانسانية ، هي أبدا تحرك نحو

الدمار ، نحو الخراب مهما كانت الظروف • هي دمار ، خراب للانسانية جمعاء • هي لتعاسة الانسان ، شقائه•• لا تعاسته ، لا شقائه •• لهدم ما بناه وما ارتقى به ، ما رقى اليه ، ما ابتغاه عن طريق الانسانية •• اذن فالحرب اجتثاث لجذور الانسانية ، مرتبطة بالعقل الادنى ،

بالدماغ التحتي الأكبر •• على قدر ما ينضمر ، يتقلص هذا الدماغ ، تنضمر ، تتقلص قابلية الحرب لدى الانسان • والحرب عامة تحض على الاقتتال ، الجرائم ، الجحيم ، الخراب •• تمتاز بكونها أداة الأسياد ، الحكام ،

الدول • والاسياد الحكام فقط يقررون الحرب ، اشعالها ، حتى تنطفىء اما بانتصار أو بانكسار • في كلتا الحالتين يعم الدمار ، يسود الحزن والوجوم •• هكذا كان الانسان منذ كان • لعلي أشير هنا الى أن الحرب مرتبطة بالرجل ، بالذكر • والرجل هو الحاكم في العالم ، والجيوش هي الرجال في العالم • نستنتج من ذلك ان العقل الادنى أو الدماغ التحتي ، مصدر العنف والاقتتال والاحتراب ، أضخم وأكبر لدى الرجال منه لدى النساء ، بل غالبية الرجال ان لم نقل كلهم • حتى اذا أظهر أحد الرجال ميله الى اللاعنف ، الى نبذ الحرب والسلاح ، الى الالتجاء الى الحوار لحل قضايا الانسان في مجتمعه اتهم بأن امرأة تسكن جسده ! كما قيل عن غاندي زعيم اللاعنف ••

ان نظرنا الى الكلمتين وما تحملان من شحنات ، اتضح لنا أن الانسانية بحروفها اللينة وأصواتها الهامسة الرقيقة ، النونين والسين ، تحمل لنا معاني لا تتجاوز الانس والانطواء والانفتاح والانطلاق •• أما الحرب فأصواتها مجلجلة ، جاهزة ، قلقة ، متقلقلة • الحاء والراء •• بل الراء بعد الرس يدل على الحركة العنيفة والقلق والاصوات المزعجة الصائتة ، الجاهزة •• ان أخذنا حروف الهجاء كلها رسا ثم أضفنا اليها الراء المشددة ثانيا تبين لنا ما نقصد : أر ــ بر تر ــ ثر ــ جر ــ حر ــ خر ــ در ــ ذر ــ زر ــ سر ــ شر ــ صر ــ ضر ــ عر ــ غر ــ فر ــ قر ــ كر ••• مر ــ هر ــ ور•• وان أضفنا الحاء والراء الى الهجائية تبين لنا صفات الحرب : حرب ــ حرت ــ حرث ــ حرج ــ حرد ــ حرش ــ حرص ــ حرض ــ حرف ــ حرق ــ حرك ــ حرم ــ حرن••

ومن سخرية القدر أن تقحم الراء بين حرفين ، هما نقيض الحرب ! •• يرتبطان بالانسانية ، بالمحبة ، بالرفق ، بالمعرفة •

قد يبرر الحرب علماء الاقتصاد ، السياسة ، الاجتماع ، النفس ، بل العلماء كافة ، حتى أن بعضهم بصفاقة ، بوقاحة ، يقولون بواجب وجود الحرب لأنها تحل قضايا البشر ! •• ثم يقنعون الناس بالتحاليل والتفاسير والأرقام والوقائع ، بل يحتالون على واجب وجود الحرب ! •• ألم يصل الانسان بعد الى مرحلة الانسانية التي يتفوق فيها الدماغ الفوقي أو العقل الأعلى لفض قضايا البشر بالحوار ؟ •• مهما كانت المبررات فلن نقتنع بواجب وجود الحرب بالرغم من التفاسير الاقتصادية والسياسية والجغرافية والتاريخية ! ••

لعل القارىء يتسائل : ولكن لماذا تكتبين عن انسانية الحرب ، والكلمتان كانتا منذ البدء ، ستظلان الى الابد ، وأنت لا تؤمنين بواجب وجود الحرب ؟ ••

بكل أسف ، بكل ثورة على الرجل الحاكم الذي يقرر الحرب ، الى أن تتحقق أحلامنا الانسانية ، لا بد لنا ، نحن الفئة الصامتة ، أن نساهم في جعل الحرب ، اذا قامت في أي مكان في هذه المعمورة ، أقل قسوة ، أقل عنفا ، أرحم بالذين لا يحملون السلاح ، الآمنين في ديارهم ، الذين يبنون بصمت ، بالنساء اللواتي أسعدتهن الطبيعة بتقليص الدماغ التحتي أو العقل الأدنى ، موطن العنف والشراسة والحرب والدمار ، بالاطفال الذين يحدقون الى مستقبل أفضل ، أقل قسوة ، أقل عنفا •• من أجل هؤلاء نتطلع الى حضارتنا لعلنا نحافظ على انسانيتها حتى في الحروب • وهي لا تقل انسانية عن القوانين التي وضعت في جنيف للمتحاربين •• لعلها أعمق ، أقوى ، أكبر ، لأنها تراثنا ، يتجدد فينا ، بقلب كبير نردده حتى الآن ، عكس ما فعلته اسرائيل وما تفعله ، مرتكزة على تراثها الصارخ الدامي الذي يتعلق بالحرب ، بلا انسانيته عندهم ، جاعلين حياة يشوع بن نون ، القائد المحارب ، المثل اعلى لأطفالهم الاسرائيليين ، فارضين سفره في مدارسهم حتى هذا العصر ! ••

الحرب والقرآن الكريم :

نفترض أن الحرب في طبائع البشر حتى الآن لأسباب قد نعزوها الى تركيب الدماغ ، الى افرازات الغدد ••

الى أن يستطيع العلم أن يسيطر على دماغ الحكام بل الانسان عامة .. لا بد لنا من أن نفترض أن الحرب قائمة ، وما نطمح اليه هو أن نضيق نطاقها ، أن نحافظ على حرمات الناس ، ولنا قدوة في تراثنا . فمحمد بن عبد الله لم يحارب الا ليصد الاعتداء . لم يستل سيفه الا عند اليأس من المسالمة . لم يحارب الا الذين حاربوه: « وقاتلوا في الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » . (س البقرة ، ١٩٠) .. « وان جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله انه هو السميع العليم». (س الانفال ، ٦١).. « كتب عليكم القتال وهو كره لكم، «وعسى أن تكرهو شيئا وهو خير لكم » (س : البقرة ١٦) « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » س : الممتحنة ، ٧ . فالمجتمع الاسلامي يمنع كذلك أفراده أن يقتلوا انفسهم: «ولاتقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما» . (س النساء ، ٢٩) ويمنعهم ان يقتلوا الآخرين : «ولا تقتلوا نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (س المائدة ، ٣٢) ، لذلك أمر الله الناس أن لا يتركوا السلم : « يا أيها الناس ادخلوا في السلم كافة» . (س البقرة ، ٢٠٨) .. «وادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم» . (س فصلت ، ٣٤) .

الحرب ومحمد :

وقد دعا محمد بن عبدالله قومه الى «استكمال ثقافتهم العسكرية ، .. يشهد بنفسه ملاعبتهم لسيوفهم ورماحهم وضروب فروسيتهم وعدوهم، ويجب بهم، ويبدي استحسانه **لما يرى من صنيعهم ، ويزين لهم تعليم أولادهم ركوب الخيل، والعدو ، وحيل الحرب، وأفانين القتال والرماية والسباحة،** ويرغبهم في التجمل بخلائق الفرسان في النجدة ، والشجاعة، ونبذ الجبن ، والخنوثة» . (شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ، ٣٥_٣٦) . وهذه التعاليم ظهرت في الجهاد ، وجذبت المسلمين ، حتى بدت الدنيا لهم «مجازا للآخرة ، والآخرة ثوابا للدنيا ، فيعيش من عاش فيها سعيدا، ويموت من مات فيها شهيدا . ومن هنا حرصوا على الموت أكثر من حرصهم على الحياة ، لا يجزعون امامه ، وهم مؤمنون بأن كل شيء قد قدر تقديرا» . (المصدر نفسه ، ٣٦) . ولم تتوان الكلمة عن الاشتراك في القتال ، فينشأ شعر الفتوح **والمقاومة ، دون ان يخرج عن القيم الاسلامية عامة، والمثل** العربية خاصة .

ولعل محمدا بن عبد الله أجاب أصحابه ، ناشرا بينهم الرحمة ، عندما قيل له وهو يقاتل أعداءه : «لو لعنتهم يارسول الله ، فقال : انما بعثت رحمة ، ولم أبعث لعانا» (من أخلاق النبي ، ١٩٣) .

من أهم الاصول الاولى للحضارة العربية هو السلوك العربي في الحرب ، وما اتسمت به من الاعتدال ممثلا في حسن معاملة الشعوب المغلوبة ، الابتعاد عن ايذاء النساء والاطفال ، المحافظة على المدن من عدوان الجند ، وقد أقاموا معسكراتهم خارج المدن، كما حافظوا على مؤسسات الحضارة، فلم يعتدوا على أثر حضارة، لم يغلقوا مدرسة، لم يحرقوا كتبا . جميع هذه الاخلاق أو الآداب تتفق مع التقاليد العربية وطباعها ، من أهم سماتها : الشهامة ، الكرم ، النجدة ، الرفق . وهذا الوجه النبيل يتجلى في وصايا الحرب عندما يدفع اليها العرب ، وصايا الاجداد ، الخلفاء ، القادة ، الحكام .. ففي غزوة مؤتة سار محمد بن عبد الله مع المحاربين حتى ظاهر المدينة «يوصيهم الا يقتلوا النساء ولا الاطفال ولا المكفوفين ولا الصبيان ،ولا يهدموا المنازل ولا يقطعوا الاشجار » (حياة محمد، ٤٠٥) .

لكن محمدا كره الحرب ، تمنى أن لا تكون ، كره الظلم استفظعه بين العباد انفسهم ، كره الجبن أمام قول الحق مهما كانت الظروف .. « لا تمنوا لقاء العدو ، فعسى أن تبتلوا بهم ، ولكن قولوا اللهم أكفنا ، وكف عنا بأسهم . واذا جاؤكم يعزفون ويزحفون ويصيحون فعليكم الارض جلوسا . ثم قولوا : اللهم انت ربنا وربهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك . فاذا غشوكم فثوروا في وجوههم» . (عيون الاخبار ، ١ : ١٠٧) . و «أما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد انفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، واما الظلم الذي لايتركه فظلم العباد بعضهم بعضا» . (صحيح البخاري) .

و «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر» . (عن المجتمع الاسلامي في ظل العدالة ، ٤٤) ، و «أحب الخلق الى الله أمام عادل ، وأبغضهم اليه أمام جائر) (المصدر نفسه ، ١٧) .

وقد حث محمد بن عبد الله الناس على افشاء السلام بينهم » (صحيح البخاري) . وعندما سئل أي الاسلام أفضل قال : «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» ، (المصدر نفسه) .. فلا «تباغضوا ولا تحاسدوا ولاتدابروا، وكونوا عباد الله اخوانا» .. (المصدر نفسه) .

وفي خطبة الوداع ، دعا جميع الناس الى المساواة ، كما كان يدعوهم الى العدل والحق ، فالناس «سواسية كأسنان المشط» ، قائلا « يا أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ... ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى» . (المصدر نفسه) .

الحرب واتباع محمد :

أما ابن عم الرسول ورفيقه علي ابن أبي طالب والصحابة والخلفاء الراشدون فتابعوا مسيرة محمد بن عبد الله في الوصية ، حتى أن عليا قال وهو يخاطب القوم: «لا تقاتلوهم **حتى يبدؤوكم ، فاذا كانت الهزيمة باذن الله ، فلا تقتلوا** مدبرا ، **ولا تصيبوا معورا (عاجزا) ، ولا** تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم» (نهج البلاغة ، ٣٧٣) ، وكان علي كذلك يكره الابتداء بالحرب ، لا عن جبن أو عجز ، انما عن شهامة وكرم وانسانية ، مما جعله **يخاطب ابنه الحسن :** «لا تدعون أحدا الى المبارزة ، وان دعيت اليها فأجب ، فان

الداعي اليها باغ ، والباغي مصروع» . (القد الفريد ، ١ : ١٥٠) .

أما صديق محمد ، الصديق أبو بكر ، فقد حمل وصية الحرب في قلبه كما شاءها الرسول،فصلها ووضحها، داعيا كل الناس ان يحفظوها عنه : « أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا·ولا تغلوا ·ولا تغدروا · ولا تمثلوا · ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة · ولا تعقروا نخلا · ولا تحرقوه· ولا تقطعوا شجرة مثمرة · ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله _ وسوف تمرون باقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له (أي الرهبان) _ وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا الله عليها ··» (المصدر نفسه ، ١٥٢) · وقد وصى بالاقوال نفسها تقريبا يزيد بن أبي سفيان عندما وجهه الى الشام ، مضيفا اليها : ولا تخربن عامرا ، ولا تجبنن » (المصدر نفسه)·

أما عمر بن الخطاب فقد وصى المجاهدين بما يلي : «بسم الله وبالله وعلى عون الله · امضوا بتأييد الله · وما النصر الا من عند الله · ولزوم الحق والصبر · فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله·ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين· ولا تجبنوا عند اللقاء · ولا تمثلوا عند القدرة · ولا تسرفوا عند الظهور·ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان ، وفي شن الغارات» (عيون الاخبار ، ١ : ١٠٧ _ ١٠٨، والعقد الفريد ، ١ : ١٥١) ·

وكان خالد بن الوليد ، القائد العربي ، يسير في الصفوف قائلا : «يا أهل الاسلام ، ان الصبر عز ، وان الفشل عجز ، وان مع الصبر النصر» · (العقد الفريد ، ١ : ١١٧) ·

وظل الاحفاد يذكرون آداب الحرب وانسانيتها ووصايا الحكام والابرار ، يحفظونها ، يرددونها عبر التاريخ ، حتى أن عمر بن عبد العزيز الاموي كتب الى الجراح : «انه يلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيشا أو سرية قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا · ولا تغدروا · ولا تمثلوا · ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا · فاذا بعثت جيشا أو سرية فمرهم بذلك» (المصدر نفسه ، ١٥١) ·

الحرب والادباء :

ومع هذا ، فكانت الحرب في نظر العرب وبالا · وقد وصفوها وبغضوها · فالشاعر زهير ابن أبي سلمى حث المتحاربين على السلام،وبين لهم فظاعة القتال بقوله:

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة

وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها
وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

ويصفها عنترة بقوله : «أولها شكوى · وأوسطها نجوى · وآخرها بلوى» · (القد الفريد ، ١ : ١٠٩) ·

وعمرو بن معدي كرب يصفها لعمر بن الخطاب : «مرة المذاق · اذا كشفت عن ساق · من صبر فيها عرف· ومن نكل عنها تلف · ثم انشأ يقول :

الحرب أول ما تكون فتية
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء ، جزت رأسها وتنكرت
مكروهة للشم والتقبيل
(المصدر نفسه) ·

وقال اسامة بن زيد الليثي كان النبي «اذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ويقول : الحرب خدعة » (العقد الفريد ، ١ : ١٠٥) ·

أما ابن عبد ربه ، فقد مهد لكتاب الفريدة في الحروب بقوله : ··· «رحى ، ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ،ومدارها الاجتهاد،وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر، ولكل شيء من هذه ثمرة · فثمرة الصبر التأييد · وثمرة المكر الظفر · وثمرة الاجتهاد التوفيق · وثمرة الاناة اليمن · وثمرة الحذر السلامة · ولكل مقام مقال ·ولكل زمان رجال · والحرب بين الناس سجال · والرأي فيها أبلغ من القتال» · (المصدر نفسه ، ١٠٨ _ ١٠٩) ·

أحفاد التراث :

ولا يزال احفاد التراث العربي عبر التاريخ حتى يومنا هذا يرددون آداب الحرب ووصاياها الانسانية ، متمسكين بحضاراتهم العريقة التي منها يستمدون قوة انسانية ، روحية ، لا تقل انسانية ان لم تفق ما اتفق عليه العالم المتحضر من آداب الحرب ووصاياها · ولا يزال حكامنا من الخليج الى المحيط يكررون أقوال الاجداد ، يحفظون وصاياهم ، حتى اصبحت جزءا من حياة الجند · وقد عبر الرئيس حافظ الاسد في حرب تشرين، ١٩٧٣ م · بقوله : «لسنا هواة قتل وتدمير _ نحن طلاب حق وعدل · نحن نردعنا القتل والتدمير · نحن نعشق السلام · نحن نعشق الحرية»··(جريدة النهار ، تشرين، ١٩٧٣ م) كما عبر عنها الحكام العرب وقادتهم جميعا ، على رأسهم المغفور له جمال عبد الناصر ، المغفور له فيصل بن عبد سعود ، الرئيس محمد أنور السادات ·

هكذا بقيت آداب الحرب ووصاياها الانسانية تراثا لحكام العرب اجمعين منذ عهد الرسول العربي والخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ، عبر الاجيال حتى عصرنا هذا ، لم يتخل عنها حاكم واحد مسلما كان أم مسيحيا··وكما أن جذور هذه الانسانيات الرائعة متأصلة في أعماق الانسان العربي منذ كان ، كذلك تأصلت لا انسانية الحرب في نفوس الاسرائيليين عبر ثوراتهم منذ عهده حتى عصرنا هذا ! ·

لا انسانية الحرب عند الاسرائيليين :

أما احداث التوراة ، وأقوال الانبياء والقادة

فمنتشرة في معظم الاسفار ، فاذا أتى احدهم على مدينة قتلوا بها كل الاطفال والنساء والشيوخ ، وسبوا ونهبوا ، وحرقوا ودمروا • (تكوين ٣٤ : ٢٥ ـ ٢٩) • والغريب أن « الرب » هو الذي يحثهم دائما على القتل والتدمير

يخاطب الانبياء والقادة • وقد كلم الرب موسى ، وطلب منه أن ينتقم لبني اسرائيل من المديانيين ، « فتجندوا على مديان كما أمر الرب ، وقتلوا كل ذكر •• وسبى

بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم ، وجميع مواشيهم ، وكل أملاكهم • وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم ، وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة ، وكل النهب من الناس والبهائم ، وأتوا الى موسى والعازار الكاهن ، والى جماعة بني اسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة ••• » (عدد ٣١ : ١ ـ ١٢) •

« وحين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها الى الصلح ، فان أجابتك الى الصلح ، وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك • وان

لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف • وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في

المدينة •• فتغتنمها لنفسك •• هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الامم

هنا • وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها (تقتلها) تحريما » •• (تثنية ٢٠ : ١٠ ـ ١٨) •

«وضرب داود الارض ولم يستبق رجلا ولا امرأة•• فلم يستبق داود رجلا ولا امرأة ••وهكذا عادته كل ايام اقامته في بلاد الفلسطينيين » ••• (صموئيل الاول ٢٧ :

٩ ـ ١١) • فضربهم داود من العتمة الى مساء غدهم ، ولم ينج منهم رجلا الا أربع مئة غلام الذين ركبوا جمالا وهربوا » •(صموئيل الاول ٣٠ : ١٧) •

ولعل القائد يشوع بن نون هو المثل الاعلى لدى الاسرائيليين •• فعندما دخل أريحا مع قومه « حرموا (قتلوا) كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل

وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف (يشوع ٦ : ٢١) •• « وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت » ••• « ويشوع لم يرد يده التي مدها

بالمزراق حتى حرم (قتل) جميع سكان عاي •• » « واحر قيشوع عاي وجعلها تلا أبديا خرابا الى هذا اليوم • وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء » •• (يشوع ٨ : ٢٢ ـ٣٠) •• ودعا يشوع

« كل رجال اسرائيل ، وقال لقواد رجال الحرب الذين ساروا معه : تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء

الملوك • فتقدموا ووضعوا أرجلهم على اعناقهم • فقال لهم يشوع : لا تخافوا ، ولا ترتعبوا • تشددوا وتشجعوا لانه هكذا يفعل الرب بجميع أعدائكم الذين تحاربونهم !

وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم » •• (يشوع ١٠ : ٢٤ ـ ٢٧) •• كذلك اخذ يشوع مقيدة «وضربها بحد السيف وحرم (قتل) ملكها هو وكل نفس بها • ولم يبق شاردا • وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك اريحا » •• ثم فعل كذلك في لبنة ولخيش •• « ولم يبق بها شارد » •• « يشوع ١٠ : ٢٨) •

وفي المزامير ١٣٧ : ٧ ـ ٩ : « اذكر يارب لبني أدم ، يوم اورشليم ، القائلين : هدوا ، هدوا حتى الى أساسها • يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيناه • طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة » ••

وامتد دوي ضرب الاطفال بالصخرة حتى عصرنا هذا سنة ١٩٥٦ م عشية الهجوم على مصر ، وفي مجزرة دير ياسين ، اذ «وقف عدد من الشرطة الاسرائيلية تصطاد الاهالي العائدين الى القرية من اعمالهم ••• راحت ••

تصطاد الاهالي دون تفريق بين امرأة ورجل ، بين طفل وعجوز ••• اذ أعلن اللواء شرمي انه أمر الرائد ميلنكي بتنفيذ المجزرة قائلا : من الافضل القتل بدلا من تعقيدات الاعتقال ! ، لا أريد عواطف ، ويرحمهم الله » ! (جريدة النهار ، ٥ /١١/ ١٩٧٣ م) •

وقد أجرى العالم الامريكي هـ • تامارين استمارة ذات محتوى واحد • أجاب عنها ٥٦٣ فتى و ٥٠٣ فتيات من صفوف مختلفة ، ومدارس مختلفة • وتطرقت

الاستمارة لسفر يشوع بن نون الذي يعتبره الاسرائيليون المثل الاعلى لمسلك الحرب عندهم • وهو مسلك غير انساني ، يتسم بالوحشية المرعبة ، تصور عار الانسان وجبنه • فسفر يشوع يدرس في المدارس الاسرائيلية من الصف الرابع حتى الثامن • وقد تضمنت الاستمارة على مقتطفات من سفر يشوع وأعماله الحربية المرعبة التي ذكرنا قسما منها سابقا • وهي باختصار ان يشوع بن نون ورجاله الاسرائيليين استباحوا بحد السيف

الاطفال والرجال والشيوخ والنساء ، وكل ما في المدن التي دخلوها وهي : أريحا ، عاي ، لبنة ، لخيش ، مقيدة •• حتى انها أحرقت وجعلت خرابا أبديا•• وبناء على هذه المقتطفات رفع السؤالان :

١ ـ هل تعتقد أن يشوع بن نون والاسرائيليين قد تصرفوا تصرفا صحيحا أو غير صحيح ؟ اشرح سبب الرأي الذي تبديه •

٢ ـ لنفترض ان الجيش الاسرائيلي قد احتل خلال الحرب قرية عربية ، فهل هو جيد أو سيء ان يتصرف على هذا النحو مع سكان هذه القرية كما تصرف يشوع بن نون مع شعب اريحا ـ اشرح السبب •

هذه نماذج لبعض الاجوبة :

ـ « اعتقد ان كل شيء قد جرى بشكل صحيح ، اذ اننا نريد قهر اعدائنا ، وتوسيع حدودنا • ونحن أيضا قتلنا العرب كما فعل يشوع والاسرائيليون » •••

ـ « في رأيي ينبغي على جيشنا ان يتصرف في القرية العربية مثل يشوع ، لان العرب هم أعداؤها» ...

ـ « كان هدف الحرب هو الاستيلاء على البلاد من **أجل الاسرائيليين ، ولذلك فقط تصرف الاسرائيليون** تصرفا حسنا باحتلالهم المدن ، وقتلهم سكانها . وليس من المرغوب فيه أن يكون في اسرائيل عنصر غريب » ...

ـ وكتبت فتاة تقول : « لقد تصرف يشوع بن نون **تصرفا حسنا بقتله جميع الناس في أريحا ، لانه كان** من الضروري احتلال البلاد كلها ، ولم يكن لديه وقت لاضاعته »...والاجوبة الاخرى كانت على هذا الطراز ، تشكل ٦٦ ، ٩٥ ٪ ...

(عروبة فلسطين في التاريخ ، الملحق ٢ : ١٩٣ ـ ١٩٦)

الصوت الكبير :

أما الصوت فيكبر ويكبر .. والاطفال يكبرون ويكبرون على هذا الصوت . فمن يشوع بن نون ، الى هؤلاء الصغار الذين يتلقون تعاليمه في عصرنا هذا ، يرددون صوته في قلوبهم ، صوت اللا انسانية في مسلك **الحرب ... : « لا تشفق عينك » تثنيه ١٩ : ٢١)**
« اقتل كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. احرق كل مافي المدينة ، واجعلها تلا خرابا ابديا .. »
« طوبى لمن يمسك الاطفال ويضرب بهم الصخرة » !! ..

طوبى للذين يزرعون ارض العرب دمى متفجرة للاطفال ..

طوبى للذين يزرعون الارض اقلام حبر متفجرة لطلاب المدارس !

طوبى للذين ينسفون البيوت أمام أصحابها ويهدمون المنازل بواسطة البولدوزرات أو ينسفونها بالديناميت !

طوبى للذين جرفوا مشارف زفح ! ..

لكن صوت احد الشاهدين ـ وشهد شاهد من أهله ـ النائب تالي من حزب مابام يختلط مع الطوبيات : « يلاحقني هذا المشهد مثل كابوس ... »

وصوت آخر : « ان هذه الاعمال ستبكينا لاجيال عدة . انها صفحة مذلة في تاريخ اسرائيل » .. (عن الموند / النهار ١٧ /٥/ ١٩٧٥)

وصوت آخر يكبر ويكبر .. والاطفال يكبرون ويكبرون على صوت محمد بن عبد الله ، رسول الله .. على صوت المسيح عبر القرآن الكريم وفي قلب رسول الله : من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ... » على صوت الخلفاء الراشدين ، على صوت الاجداد الاماجد : « أيها الناس .. لا تخونوا ، ولا تغلوا . ولا تغدروا .. ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة... لا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة . ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة .. ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ... ولا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فاذا كانت الهزيمة باذن الله ، فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا (عاجزا) ، ولا تجهزوا على جريح » ...

أما العالم اليوم ، فلا يزال في تخلف مشين تجاه الحرب . لا تزال الامم الكبيرة تتدخل في شؤون الامم الصغيرة وهي تبرر هذا التدخل دائما .. ومن المؤسف حقا أن نرى دولة كبيرة كاميركا يبذل حكامها نفقات عسكرية طائلة في الحرب الهند الصينية ، تجاوزت ١٤١ مليار دولار منذ سنة ١٩٦٥ م حتى ١٩٧٤ م والهند الصينية تدفع الضريبة بثلاثة ملايين و ٢٠ ألف **قتيل خلال ٣٠ عاما ! ... أما في الحرب الكبرى الثانية فسقط عشرون مليون روسي حين غزت الهتلرية أرضهم خلال أربع سنوات ! ..**

هذه نماذج قليلة من كثير .. كثير ..

ثريا ملحس

أيار ١٩٧٥ م .

المصادر :

ـ القرآن الكريم .
ـ صحيح البخاري .
ـ نهج البلاغة .
ـ ابن قتيبة (ـ ٢٧٦ هـ) . عيون الاخبار . مج : ١ .
ـ ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) .. العقد الفريد . كتاب الفريدة في الحروب . ج : ١ .
ـ الزوزني (ـ ٤٨٩ هـ) . شرح المعلقات السبع . القاهرة .
ـ الفيروز أبادي (ـ ٨١٧ هـ) . قاموس المحيط . ج : ١ .
ـ الحوفي ، احمد محمد . من اخلاق النبي . القاهرة .
ـ خالد ، خالد محمد.انسانيات محمد . القاهرة .
ـ خباز ، حنا (ـ ٩٥٥ ١م) اسرائيل ، ماهيته ووقائعه . بيروت .
ـ زيدان ، جرجي (ـ ١٩١٤ م) تاريخ التمدن الاسلامي . ج : ١ . القاهرة .
ـ سلهب ، نصري . في خطى محمد . بيروت .
ـ صفوت ، زكي . جمهرة خطب العرب . مصر .
ـ صفوت ، زكي ، جمهرة رسائل العرب . مصر .
ـ العامري ، محمد اديب . عروبة فلسطين في التاريخ . بيروت وصيدا .
ـ القاضي ، النعمان عبد المتعال . شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام . القاهرة .
ـ كفافي ، محمد عبد السلام (١٩٧٢ م) . الحضارة العربية . بيروت .
ـ المنجد ، صلاح الدين . رسائل الى شاب متشكك . بيروت .
ـ المنجد ، صلاح الدين . المجتمع الاسلامي في ظل العدالة . بيروت .
ـ هيكل ، محمد حسنين . حياة محمد . القاهرة .
ـ جريدة النهار . تشرين الاول / ١٩٧٣ وايار ١٩٧٥ .

حماة .. والضفاف الخضر

احمد علي حسن

مهداة الى اخواني شعراء حماه

سل عن بقايا الهوى عطر الأزاهير ... يزكو بكل غوي الحسن ، مسحور
فاضت (حماةُ) بها ، حتى لتحسبها ... لولا حجابُ الغواني ، جنة الحور
تيها فتى الشعر ، إنا نازلون على ... ايك العنادل في وادي الشحارير
تغفو به اغنيات الفجر ، ما انتبهت ... إلا على شدو أسراب العصافير
وحركت لا عجي لما مررت بها ... في سرحة العصر ، أنات النواعير
قرص من الخشب المران ، هالته ... تنداح حول جدار فيه معمور
تغمست بمياه النهر ، واغترفت ... منها ، وصبت بأحلاق المجارير
يروى بها كل محرور ، وذي ظمأ ... فما تمر على (العاصي) بمحرور

★ ★ ★

هنا (حماةُ) فسل عن فتنة عجب ... لا تنقضي ، وإباء غير مهدور
تأنق الليل فيها ، فهو سلسلة ... من الضياء ، والطواق من النور
ماجت بها الضفة الخضراء ، واحتفلت ... جناتها بالشذيات المعاطير
تلوح عبر امتداد الطرق كاسية ... من مائج بالربيع الحلو ممطور
والنهر – مثل غمام الصيف – متئد ... أو قل : كما خطرت غيد المقاصير
يجري .. فيملأ واديه هوى وشذى ... كأنه الطيب ، أو نفح القوارير
والصيف متعة افياء معطرة ... على الضفاف ، وربع غير مهجور
أما العشيات ، تغري كل حالمة ... عبر (الرصيف) المندى (بالمشاوير)
تحجبت بحجاب الليل ، وانطلقت ... فالحسن ضاق بمحجوب ومستور
ما ذا يخيف الغواني ، فالهوى قدر ... عند القلوب ، وشيىء غير محظور

★ ★ ★

غنيتني يا أبنة العاصي ، هوى بطلا ... حلو النشيد ، وعزما غير مقهور
لما وقفت على « عاصيك » ماردة ... حطمت كل شديد البطش ، مغرور

أو مأت ، فانتفض الكبر الجريح على ... وهج العزائم ، هزءا بالمقادير
وما خضعت بأيار وحملته ... لغاصب ، كلب الأشداق ، مسعور
ما زلت أذكرها حمراء دامية ... طاحت بأرعن من (باريس) موتور
زحمتها بخميس لا يروعه ... ما في المخاوف فيها والمحاذير

★ ★ ★

أبو الفداء ، وما زالت مدينته ... مثل البشاشة في طبع الأسارير
حمى ، به سلم الاسلام ، واجتمعت ... على العروبة ، أشتات الجماهير
غنى بنوه ، فعادت في روائعها ... دنيا الأناشيد ، أو دنيا المزامير
والشعر ٠٠ اطيبه فيهم ، واعذبه ... وخير ما فيه ، شعر غير منثور
لوائح من عريق الفن ، أو صور ... لا كاللوائح ، أو لا كالتصاوير
غنية بالمعاني ، لايشوشها ... نشر الضباب ، ولا سقط التعابير
كأنما الملك الضليل ، أفرغها ... في قالب من بيان العصر ، مضفور
جنت بها الجن ، وارتاحت لشاعرها ... فأستأنست بأليف الحرف مبرور
بالامس زف اليها في عرائسه ... (أبو أسامة) بين الحو والحور (١)
وللشباب على العاصي شمائله ... ثبت مع الثبت ، تغيير لتغيير
أمجاده ، انه في المجد متحد ... وانه في هواه غير مجرور

★ ★ ★

يا أنت ، يا حلوة العاصي ، ويا سمر ... في ندوة المجد ، ملهام الأساطير
حسن الطبيعة منظور ، تجود به ... وللحسان جمال ، غير منظور
النور يبهر رائيه ، فضن على ... طرف من الفتنة العذراء مبهور
حييت فيك مروءات العلى ، فصفي ... ما في العلا من جمال غير محجور
اني أحبك يا حسناء عاطفتي ... ويا هوى ضاق عن معناه تعبيري
لي في ترابك أجداد حنوت على ... اجداثهم بين تكريم وتقدير
وانني حموي الحب ، ما برحت ... نعمى (حماة) على عقلي وتفكيري
آمنت بالحب ، وجدانا وعاطفة ... فوق المقاييس ، أو فوق المعايير

★ ★ ★

احمد علي حسن

(١) اشارة الى حفل التكريم الذي اقامه شعراء حماة للطبيب الشاعر وجيه البارودي بتاريخ ١٤ـ٥ـ١٩٧٥

الخمرة في شعر ابي محجن الثقفي

محمود فاخوري

إذا مت فادفني الى جنب كرمة
تروي عظامي، بعد موتي، عروقها
ولا تدفنى في الفلاة ، فانني
أخاف ـ إذا ما مت ـ أن لا أذوقها

وصية طريفة سارت في الآفاق ، وتغنت بها الركبان ولا تزال تتغنى ... أما صاحبها فهو أبو محجن الثقفي ، الشاعر المخضرم ، الذي عدّ من سراة ثقيف وأشرافها، والذي درج في رياض الطائف وكرومها ، ونشأ على فتوّة أهلها وصبوة شبابها ، وجمع بين الشعر والفروسية .. وكانت مجالس اللهو والقيان والطرب ملاذه في الطائف والمدينة حتى أعلن توبته النصوح إثر معركة القادسية .

ونريد في هذا البحث ان نعوج على جانب واحد من شعر أبي محجن ، وهو شعر الخمرة ، نخصه بدراسة مفصلة ، لأن نصيبه أوفى من بقية الاغراض وأوفر ، وكان لصاحبه قصة طويلة مع الخمر منذ ان صحبها حتى قلاها وفارقها ، فكانت في الحالين من أسباب شهرته .

عرف العرب الخمر منذ أقدم عصورهم ، وكانت غالية الثمن ، لا يحصل عليها إلا المثرون ، وهذا ما جعلهم يتمدحون بشربها ، ويتغنون بها ، حتى عدّها طرفة احدى خصال ثلاث هنّ من عيشة الفتى ،..

ولما حرم الاسلام الخمر ، أذعنت جمهرة الناس لهذا التحريم ، إلا ان فئة منهم لم تمتنع عن شرب الصهباء سرا وعلانية ، وظهر جليا على أفرادها الصراع بين جاهلية ألفوا عاداتها ، ونواه دينية سلطت عليهم بزواجرها ، ومن هذا الفريق أبو محجن الثقفي في مستهل اسلامه .

واذا عدنا الى ما قاله أبو محجن من الشعرالخمري ، أمكننا تقسيمه الى ثلاث مراحل :

١ ـ ما قاله في الجاهلية :

ولم يصل الينا من ذلك سوى قصيدة واحدة بدأها بوصيته التي صدرنا بها هذا المقال ، ثم تحدث عن إدمانه الخمرة صباح مساء ، مقيما لها حدودا ومراسيم يحرص عليها ولا يضيعها :

أباكرها عند الشروق ، وتارة
يعاجلني بعد العشي غبوقها
وللكأس والصهباء حظ منعم
فمن حقها ألا تضاع حقوقها

إلا ان ذلك لا يحول بينه وبين نجدة القوم ، وحماية الجار ، واكرام الضيف ، وكل ذلك من سمات الفتوة والفروسية :

وعندي ، على شرب العقار ، حفيظة
اذا ما نساء الحي ضاقت حلوقها
وأمنع جار البيت مما ينوبه
وأكرم أضيافا قراها طروقها

٢ ـ ما قاله في الاسلام قبل توبته :

وفي هذه المرحلة انتصر ميل أبي محجن الى الخمرة، غير جزع من عقاب الخليفة عمر بن الخطاب ، ولا وجل . لقد أوغل في التشبث بها ، والدعوة اليها ، والأنس بمجالسها ، والاصرار على شربها ، ولم يستطع الصبر عنها:

وإني لذو صبر ، وقد مات إخوتي
ولست عن الصهباء ، يوما ، بصابر

ولا يفتأ يعرض بعض الصور من لهوه ، وترسمه حدود الطرب والوان القصف ...ويجهر بالمعصية ويرفض الاذعان والطاعة ، وهو مدرك عواقب تمرده هذا إدراكا تاما :

ألا اسقني يا صاح خمرا ، فانني
بما أنزل الرحمن في الخمر عالم
وجد لي بها صرفا لأزداد مأثما
ففي شربها صرفا تتم المآثم

وفي أشعار هذه المرحلة نلمح لهجة عابثة بتحريم الخمرة تصل الى درجة السخر ، على الرغم من الوعيد وضرب الحد .. كما نلمح صورتين للشاعر : صورةنفسية عن اصراره على الخمرة والشغف بها ، والاغراق في الذنب ، وصورة حسية تستمد مادتها من مباكرة الخمرة مزّة صرفا ، خضلة الراووق ، يضمه معها مجلس طرب تقوم فيه على رأسه مغنية رخيمة الصوت ، يستعذبالشاعر بسيطه ونشيده .

وتنتهي هذه المرحلة لدى أبي محجن ببيت فاصل في حياته ، وذلك قوله يوم القادسية حبيسا في قصر سعد ابن أبي وقاص :

والله عهد ، لا أخيس بعهده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

٣ ـ ما قاله بعد توبته : لقد كان يوم القادسية في حياة شاعرنا الفارس حدا فاصلا بين عهدين ، فيه انفصمت العرا الوثيقة التي كانت تربطه بالخمر ، فانحل ما كان بينهما معقودا ، وانبت ما كان موصولا • لقد قال له سعد حين عرف بلاءه في المعركة : اذهب فما انا مؤاخذك بشيء ••• فقال ابو محجن : قد كنت أشرب الخمر اذ كان الحد يقام علي وأطهر منها ، فأما اذ بهرجتني فلا والله لا أشربها ابدا •

وهنا ينتصر الجانب الديني على الجانب الحسي في نفس الشاعر بعد أن فرج عنه، اذ راح يناصب الخمرة العداء، بنفس الحماسة التي كان يدافع عنها من قبل • وتدور معانيه في هذه المرحلة على اعلان توبته النصوح، وذم الخمرة، وبيان مفاسدها ، والرد على من يحاول اغراءه بالعودة الى حظيرتها ، كقوله :

أتوب الى الله الرحيم ، فانه
غفور لذنب المرء ، ما لم يعاود
ولست الى الصهباء، ماعشت، عائدا
ولا تابعا قول السفية المعاند

وشعر هذه المرحلة يحمل عاطفة من نوع آخر ، انها عاطفة دينية نقية ، يغمرها الايمان والتوبة ، وهجران الخمرة ، دون ان يخالط ذلك شوب من الندم عليها ، ولا الحسرة لفراقها • الا ان هذا الشعر ـ على ما فيه من عذوبة في الموسيقا ، وحلاوة في الجرس ـ يبقى الين ديباجة وأرق نسجا مما قاله في المرحلتين الاوليين ، كما يبدو أقرب الى النظم والوعظ منه الى الشعر المحلق ذي الخيال الموحي والوهج الوضاء ، وان كان صاحبه صادقا مع نفسه ومشاعره • ولعل قولة الاصمعي في حسان تصدق هنا ، حين قال : « الشعر نكد بابه الشر ، فاذا دخل في الخير ضعف ••• »

★

على ان ما قاله أبو محجن في جاهليته ، أو قبل توبته، هو الالصق بفن الشعر الخمري ، على قلته • وكنا ننتظر من شاعر كان خدن الخمرة أمدا طويلا ، ان يوفر لها من افانين القول ما يجعله مقدما على انداده ، وان يكون لها كما كان الاعشى ، ان لم يكن اكثر منه ، الا انه لم يستطع ان يجعل منها فنا عاليا يطرق لذاته :

فهو في خمرياته لا يتعمق في مجالات النفوس جميعا ، ولا يسبر أغوار العقول والافكار ، كما انه لا يعطينا صورة كاملة للخمرة في مجالسها ومغانيها ، وندماها وسقاتها وانفعالاتهم ، واكثر صوره جزئية محسوسة ، وليس كل ما أورده في خمرياته ، من معان واوصاف ، جديدا • اذ يشترك في كثير منها مع معاصريه ، او يتقيل فيها آثار سابقيه • فوصفه لطعم الخمرة بأنها « مزة » في قوله :

انني باكرت مترعة
مزة راووقها خضل(١)

يقع في دائرة قول عدي بن زيد :

قد سقيت الشمول في دار بشر
قهوة مزة بماء سخين

وشربه الخمر صرفا تارة ، وممتزجة تارة اخرى في قوله :

فقد أباكرها ريا ، واشربها
صرفا ، واطرب احيانا فأمتزج

ينسج فيه على منوال عبدة بن الطبيب الذي شربها من قبله على هذا النحو :

ثم اصطبحت كميتا قرقفا أنفا
من طيب الراح ، واللذات تعليل
صرفا مزاجا ، واحيانا يعللنا
شعر كمذهبة السمان محمول(٢)

وعلى الرغم من ايجاز الفن الخمري في شعر أبي محجن ، وحاجته الى مزيد من الابتكار ، فقد وردت عنده اشارات خاطفة الى ما فصل فيه شعراء الخمرة في عصره وبعد عصره : كالغناء والطرب ، والساقي ، وفعل الخمرة ، والمجاهرة بشربها ، وذكر اللائمين ، والموانع التي تقوم في وجهه : كالدين والخليفة •

كما يبرز في الشعر نفس قصصي او حواري ، اتسعت دائرته عند الاخطل وابي نواس فيما بعد ، وهذا النفس الحواري له شان في بعث الحياة والجدة ، كقوله يوم صحبه الحارسان الى المنفى :

صاحبا سوء صحبتهما
صاحباني يوم ارتحل
ويقولان : ارتحل معنا
وأقول : انني ثمل

على ان الدارس لتطور شعر الخمرة في الادب العربي لا يستطيع ، مع هذا ، ان يغفل شعر ابي محجن الخمري ، وأثره في هذا التطور ، وانه كان حجرا قويا في بناء الشعر الخمري عامة ، بل كان رائد الشعراء في وصف الخمرة في الاسلام ، مهد لهم سبيل القول والتصرف فيه ••• ذلك لن هذا الشاعر انفرد ـ من بين سابقيه ومعاصريه ـ بانه :

١ ـ خص الخمر بقطع وقصائد مستقلة، بعد ان كانت عند سابقيه ومعاصريه جزءا من القصيدة ، او غرضا من اغراضها ٠

٢ ـ وانه كان احد الشعراء المسلمين القلائل ، الذين تابعوا القول في الخمر ، بعد ان غابت من الشعر ، او كادت ٠

٣ ـ وهو اول شاعر ، بين اضرابه ، يتضح لنا في شعره ـ اول مرة ـ الصراع بين لذة شرب الخمرة ، ونهي الاسلام عن شربها ٠

٤ ـ كما انه لم يكتف بالاوصاف الحسية التقليدية للخمر وما يتصل بها ، بل انه منحها تلك الجوانب النفسية والذاتية التي اضفاها على خمرياته ، ولا سيما موقفه المزدوج من الاسلام والخمرة معا ، قبل توبته وبعدها ، سلبا وايجابا ٠

كل ذلك جعل لخمريات ابي محجن طعما خاصا لا نجده في خمريات الاخرين : كالاعشى ، وعدي بن زيد ، وحسان بن ثابت ٠٠٠ في الجاهلية أو في الاسلام ٠٠٠ بل ان عددا من الشعراء بعده تأثروا به ، ولا سيما موقفه من الاسلام ، والانحياز الى الخمرة في تحد سافر ، أو مبطن بالهزل ٠ وكان ابو نواس ، على الاخص ، مجليا في هذا المضمار ، اذ استفاد من استخدام ابي محجن للشعر في التصدي لاحكام الدين ، والاصرار على شرب الخمر ، وتوسع في ذلك ، حتى قال مثلا :

الراح شيء عجيب انت شاربها
فاشرب، وان حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على حمراء صافية
صر في الجنان، ودعني أسكن النارا

★

أما وصية أبي محجن بان يدفن الى جانب كرمة تروي عروقها عظامه ٠٠٠ فقد اصبحت دستورا للشاربين اذا أرادوا أن يوصوا ، مادام احدهم لا يقوم في ذهنه ، ولا يتصور ان تكون حياة بغير خمرة ٠ ولم ينل من قيمة هذا الشعر نعت الدميري له بانه « احمق بيت قالته العرب » ونبز ابي محجن بانه « الاعشى » ٠

وقد حفظ الوصية وعمل بها عدد من شعراء العرب والعجم ، ممن كان أليف العقار وخدن الشمول ٠٠ وفي مقدمتهم أبو الهندي ، وهو من مخضرمي الدولتين ، حيث يقول في وصيته :

اذا حانت وفاتي فادفنوني
بكرم ، واجعلوا زقا وسادي
وابريقا الى جنبي وطاسا
تروي هامتي ، وتكون زادي

ثم جاء ابو نواس ، فنظم نفسه في سلك الموصين ، ولو لم يفعل لكان امرا عجيبا ، الا انه نقلنا من جو المذاق لدى استاذه ابي محجن ، الى لذة السماع ، في وصيته بان يدفن في « قطربل » العراق ، موطن الخمر هناك :

خليلي ، بالله لا تحفرا
لي القبر الا بقطربل
خلال المعاصر بين الكروم
ولا تدنياني من السنبل
لعلي أسمع في حفرتي ،
اذا عصرت ، ضجة الارجل

وبعد أبي نواس ، وفي هذا الزحام من الوصايا ، وصلت الينا وصية شاعر عباسي آخر ، هو بكر بن خارجة ، الذي يقول :

ادفنوني ، ان مت ، في أصل كرم
ان روحي تحيا بماء الكروم
واحنطوني بتربها ، ثم رشوا
كفني من رحيقها المختوم
وادفنوني بحانة عند دن
بفنا عسكر الدنان مقيم

ولعل خاتمة هؤلاء المريدين ، والشعراء السالكين : عمر الخيام (ـ ٥١٧ هـ) في احدى رباعياته التي ترجمها (نويل عبد الاحد) نثرا ، حيث يقول :

اجعلوا طعامي كله عنبا
واغسلوا عند مماتي رمتي البالية بالخمور
واحفروا قبري تحت ظلال العناقيد
وادفنوني بين أوراق الكروم ٠

وترجمها أحمد رامي شعرا عن الفارسية فقال :

هات اسقنيها أيهذا النديم
أخضب من الوجه اصفرار الهموم
وان أمت فاجعل غسولي الطلى
وقد نعشي من فروع الكروم

أفلا يحق لنا بعد هذا كله أن نؤكد ما سبق ذكره : من أن أبا محجن الثقفي رائد الشعراء في وصف الخمرة في الاسلام ، أو أحد الرواد في هذا المضمار ؟٠٠

محمود فاخوري ـ حلب
(مدرس بكلية الآداب)

---

(١) المزة (بضم الميم) : الخمر اللذيذة الطعم تلذع اللسان ـ الراووق : اناء الشراب ـ خضل : ندي ، مبتل ٠

(٢) الكميت والقرقف : من اسماء الخمر ـ أنف : (بضم الهمزة والنون) : لم يبزلها أحد قبله ولم يشربها ـ السمان : الوشي ـ محمول : ذائع، يرويه الناس لحسنه٠

عنـــدي

عندي من الاشواق ·· عندي فوق الذي أخفي وأبـــدي
لو حملت وجـــدي الجبال لمـا أطـــاقت حمل وجــــدي
وحدي ·· على كتفي صليبي بين أهـل العشق ·· وحدي
هدر دمي او تنكرين ؟ أنـــا القتيل ، قتيل عمـد

★ ★

تمضي الليالي لا أراك فكيف أنت اليوم بعـــدي ؟
أخفرت عهدك أم ترى ما زال عهدك مثل عهـدي ؟
كتب الهوى سطرا علي مـــداده شجني وسهـدي
وحروفه دقات خفـــاق توقـــد أي وقـــد
فترفقي بخـدين هـم واحـد في الحب ، فرد

★ ★

لعب الزمـان بشقوتي وسعـادتي تلعاب نرد
فطغت ديـاجي خيبتي رعناء ، تطوي أفق سعدي
اليـأس والأمـل المرجـى صفحتـــا قرب وبعـــد
وكـأنني وسفينتي والظـن في جـــزر ومد !؟
تتوزع الاوهـــام مجـــدافي عـلى دفع وشـد
وتغيـــم في عيني بارقـــة السنـــى ويغيب رشدي
وأضيع ، أشرد ، أنطـوي أهوي ·· ألملم فضل جهدي !
أحتـــار ·· لا تحظى يدي بيد ولا سؤلي برد
أنـــا عاشق ·· دنيـــاك عشقي ·· جزت فيهـا كل حد
مستلهم معنـــاك ، أستوحيــــه في صــــدري ووردي
لا تستبيني في الهوى هنـــد ولا أعنى بدعـــد
نزهت شعري أن يشبب ، أن يكون سواك قصــــدي
يـــا بنت مـن ذكـراه في ركب الحيـــاة نداء مجـــد
تقضى الديون ودين حبـــي ليس منـــك بمسترد
سأظل أرقب كل أفـق ، أرتجـــي اشراق وعـــدي
يبلى الزمان وحبي الأســـمى عليك ·· وشاح خلد

ياسين فرجاني

العودة الى الطبيعة

قصة ناثانيال هاوثورن

ترجمة : ياسر الفهد

مقدمة :

ناثانيال هاوثورت كاتب قصصي مرموق يعني بالموضوعات والمشكلات الاجتماعية التي تهم الانسان في كل عصر وزمان ٠ فمادته وفنه ومدارات بحثه أقرب ماتكون الى حياتنا واهتماماتنا ومشاغلنا ٠وهو يؤثر عادة القصص التي تجري في أماكن نائية وبين أقوام لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة ويختار لها الاسلوب الرمزي ٠

وفي قصة العودة الى الطبيعة (آدم وحواء في مجتمع جديد)يحثنا الكاتب علىهجرالصنعة والتكلف والتعقيد ويدعونا الى الارتماء في أحضان الطبيعة ببساطتها وسحرها فلقد أصبحت الصنعةفيحياتنا الحاضرة تمثل للاسف طبيعة أخرى لنا وبلغ الفن الاصطناعي حدا من الابداع دفعنا الى الاستخفاف بعظمة أمنا الاصلية : الطبيعة ٠ **المترجم**

لنتصور أن نبؤات الاب مللر قد تحققت وحدثت القيامة ومسح الجنس البشري عن وجه الارض : من المدن والمزارع وشواطىء البحار ومن القارات الشاسعة وجزر المحيطات وأقاليم الجبال، وانها أقفرت جميعهامن كل عنصر حي ، ولم يبق هناك نفس واحد يتردد وسط سكون شامل يلف الكون ٠ولكن بقي كل ما انجزه الانسان من البناء والعمران والنماذج المنظورة لثقافته العقلية ، وسائر آثار كده واجتهاده على حاله لم تمسه يد القدر والفناء وكي نعيد الحياة الى هذه الارض علينا أن نفترض خلق آدم وحواء جديدين ٠ وقد أوجدا وهما بكامل نموهما العقلي وتفتحهما العاطفي ولكنهما لايعلمان شيئا من اسلافهما ، ولا عن الظروف التي كانت تسود بينهم ٠ فمثل هذين الزوجين يستطيعان التمييز بين الفن الاصطناعي بتعقيداته والطبيعة الاصلية ولاشك انهما يقفان حيال الفن بتمويهه المتقن ، موقف الحيرة والعجب ٠

فلنحاول أن نتتبع خطوات هذين الوريثين للكرة الارضية ونرقبهما في تجربتهماخلالأيامهما الاولى : في ذلك اليوم الذي انطفأت فيه آخر شعلة للحياة على كوكبنا الارضي ، ارخي الليل سدوله على أرض صامتة ساكنة، لايتردد في جنباتها نفس حي واحد٠وماأن يمر الليل حتى يلقاها مقفرة هاجعة كما تركها في المساء السابق ٠ انه الفجر !

لقد تورد الشرق بحمرة الخجل الازلية٠ولكن ليست هناك الآن عين انسان ترقبه ٠ كل ظواهر الكون كانت تجدد نفسها بالرغممنالفراغ الشامل الذي كان يلف الكرة الارضية بينما الجمال يطغيعلىالارض والبحار والسماء، يضفي على الطبيعة سحرا وروعة اخاذة ٠ وما ان بزغت الخيوط الاولى لاشعة الشمس ، وكست قمم الجبال في ذلك الصباح حتى ظهر مخلوقان حيان ، ليس في جنة كتلكالتي ظهرفيها أبونا آدم وأمنا حواء،وانما في قلب مدينةحديثة٠

لقد ألفيا نفسهما فجأة في عالم الوجود ٠ كان كل منهما يحدق في عيني الآخر ٠ لم يعتر مشاعرهما أي عجب أو ذهول،ولم يحاولا أن يزعجا نفسيهماببذل الجهود لمعرفة ماذا يكونان أو منذ متى ولماذا وجدا ٠ كان كل واحد منهما راضيا عن وجوده ، لان رفيقه أيضا وجد مثله ٠

والظاهر أن الوجود لم يبدأمنتلك اللحظة التيوجدا فيها، بل انه استمرار لوجود ازلي٠وقد قنعا بالجو الداخليالذي الفيا نفسيهما في غمرته ، اذ لم يكن بوسعهما ادراكعالمهما الخارجي وملاحظته على الفور ٠ وبعد أن اكتفيا من تأمل بعضهما بعضا والتمعنفيحقيقة وجودهما ، التفتا الىالعالم الدنيوي وطفقا يحاولان تعرف الاشياء والظروف التي تحيط بهما٠ وقد أذهلتهما تلك الظلال التيكانت تطالعهما في كل مكان وغمرت نفسيهما بالحيرة ٠

صاح آدم قائلا : ـ يا عزيزتي حواء أين نحن ؟! يبدو أني لم أتعرف هذا المكان !

(ان القدرةعلىالتكلم والتعبير خلقت معهما بالفطرة كأنفاسهما) أجابت حواء :

ـ وانا أيضا يا عزيزي آدم ، ما أغربه من مكان ! ولكن دعني أقتربمنكلاكون أكثر التصاقا بك وكي لاأرى ولا أشعر الا بك وحدك ٠ كل هذه المناظر تربكني ، وتحير روحي ، وتغرقني في لجة من العجب ٠

قال آدم الذي يتمتع بميول أقوى تجاه العالم المادي:

ـ لا ياحواء٠من المستحسن أن ننظر في تلك الامور والاشياء فنحن الآن في وضع شاذ هنا ٠ وعلينا أن نجيل النظر فيما حولنا ٠

من المؤكد انه كان هناكمنالمناظر مايكفي لايقاعهما في حالة تامة من اليأس والحيرة ٠ فهناك تلك الصفوف الطويلة من الابنية التي تنعكس على زجاج نوافذها أشعة الشمس المباركة والشوارع الضيقة التي تتوسط صفوفها من المباني والارصفة المقفرة ، وآثار العجلات التي تجلجل اصداؤها في أعماق الماضي الذي لن يعود ، وانظر تلك القباحة والجمال ، والفوضى والنظام ، فيكل ماتقع عليه العين ، وهاتيك الغرائب والتشاويه التي تميز أعمال الانسان منذ نشوئه على ظهر البسيطة ٠

فأي شيء في كل هذا يمكن أن يكون ذا مغزى عند عقلين لايعرفان شيئا عن الحضارة والتقدم الصناعي الذي تظهر آثاره في كلحجر من أحجار المباني ، وأي عمود من أعمدة النور٠وعدا ذلك فهناك الوحدة والسكون المطبقان٠

في تلك المناظر التي نشأت اصلا في ظل الضجيج والضوضاء، مما يولد شعورا بالوحشة والانعزال ، حتى في نفس آدم وحواء الذين لم يكونا يعلمان شيئا عن الانقراض الاخير للوجود الانساني • ففي الغابات تكون العزلة هي الحياة ، ولكنها في المدينة تمثل الموت، بكل ماينطوي عليه من رهبة•

جعلت حواء تلتفت حولها ، وقد اعتراها شعور بالريبة والشك • الشعور ذاته الذي يمكن أن تحس به احدى سيدات المدن المتحضرة ، فيما لو نقلت فجأة الى حدائق

جنات عدن• واخيرا عندما توجهت بناظريها صوب الارض، اكتشفت خصلة من الاعشاب ، نبتت بين أحجار الرصيف•

وسرعان ما انحنت عليها واقتطفتها • من البداهة أن تلك الحشائش قد ايقظت استجابة في قلبها • ولم تجد الطبيعة

شيئا آخر تقدمه لها في هذا المكان أما آدم فبعد أن أعياه التحديق في الشارع طولا وعرضا ، دون أن يعثر على شيء يفهمه أو يدرك كنهه ، رفع وجهه نحو السماء ، حيث استطاعت روحه أن تدرك شيئا ما •

صاح آدم : ـ انظري ياحوائي العزيزة !•• من الواضح أن علينا أن نقيم بين تلك الغيوم الذهبية أو في أعماق الزرقة التي تتجمع وراءها ، لاننا كما يبدو وقد ضللنا السبيل ونأينا عن بيتنا ، وأن كنت لا أعرف كيف ومتى حدث ذلك ، فأنا لاأرى هنا شيئا يخصنا •

قالت حواء : ـ الا تستطيع الصعود الى هناك ؟

فأجابها آدم بكثير من الامل :

ـ ولم لا ؟ ولكن لا ! اني أشعر بأن شيئا مايجذبنا الى الاسفل بالرغم من جهودنا الكبيرة• فربما وجدنا طريقا فيما بعد •

كان يخيل اليهما ، انه ليس من المتعذر الصعود الى السماء ، بفضل الطاقة المنبعثة من الحياة الجديدة •

شرع الاثنان الآن في جولتهما خلال المدينة ، علهما يجدان منفذا للهروب من ذلك الجو غير الملائم • وفي الحال عرفا معنى التعب • كانت جميع الابواب في المدينة مفتوحة على مصراعيها ، وقد فتحت بالقوة نفسها التي جرفت القاطنين فيها •

ولسوء الحظ فقد جاءت زيارتهما الاولى لمخزن للبضائع بينما كانت طبيعتهما أكثر ملاءمة للجنة منها لهذه المخازن وعندما دخلا المتجر، لم يخف أحد لاستقبالهما اذ لم يكن هناك باعة ولا مشترون • كان المكان خاليا خاويا ، الا من البضائع والصمت المطبق ، المعروضات فيه تمثل احدث المنتجات الحريرية ، التي تملأ المخازن ، وتلمع كأوراق الخريف في الغابات : أقمشة حريرية من مختلف الاصناف تشمل كل مايلزم لزينة الانسان واناقته• تفحص آدم هذه الاشياء قليلا ثم ماعتم أن القى بها باستخفاف وقلة اكتراث • ولكن حواء جلست تتفحص هذه الكنوز ، بانتباه أكبر ، فتناولت زوجا من المشدات النسائية وأخذت تتأملها باستغراب ، غير انها لم تعرفها ولم تتبين الغرض منها ، ثم طفقت تتلمس قطعا من الحرير الفاخر بشوق مبهم ثم مالبثت أن تركت هذه الاشياء وقالت :

ـ على العموم لم أحبها • ولكنها في الحق يا آدم ، على قدر كبير من الغرابة • فماذا يمكن أن تكون ؟ ينبغي بالتأكيد أن أعرف ذلك ، فقد أغرقتني هذه الاشياء في بحور من الحيرة البالغة • فأجابها بصبر نافذ :

أوه !لماذا تزعجين رأسك الصغير بهذه التفاهات يا عزيزتي ؟ هيا بنا نذهب الى مكان آخر • ولكن تريثي قليلا • انظري الى هذا الرداء ، فكم ستبدين جميلة فاتنة لو ألقيته على كتفيك ! فتناولت قطعة نفيسة من النسيج الفضي الرقيق، ولفتها حول جسدها بذلك الذوق الفطري، الذي حبتها اياه الطبيعة •

وبهذا تكونت عند آدم الفكرة الاولى عن جمال اللباس وروعته • فقد بدت زوجته في تألق جديد زاه لم يعهده من قبل ، مما جدد اعجابه بها ، مع انه من الصعب ان يقبل لها رداء غير خصلات شعرها الذهبية •

اختار آدم لنفسه حلة من المخمل الازرق ، وتدثر بها مقتديا بحواء وانطلق الاثنان بألبستهما الجديدة للبحث عن كشوف أخرى • وبعد قليل من التجوال ، ولجا احدى الكنائس لا ليعرضا ملابسهما الفاخرة ، بل ليريا برجها الشامخ الذي يتجه نحو السماء ، حيث يتوقان الى الصعود•

ولما دخلا البوابة طرق اسماعهما صوت دقات منتظمة • انها دقات ساعة الكنيسة ، فهي الاثر الدنيوي الوحيد الذي لازال يعمل •

كانت الساعة تدق معلنة الوقت وصدى دقاتها يتردد في جوانب المكان بايقاع عميق رتيب • انه الزمن ! فهو حلقة جديدة في سلسلة الدهر الموغلة في أبعاد لا متناهية •

ها هو ذا الزمن سيتحدث مخاطبا حفيديه الجديدين بلسان حديدي صنعه أقوام، ليس لهم بعد ظل على وجه الارض •

أما الوريثان الجديدان للعالم، فقد أصغيا اليه مليا، ولكنهما لم يفهما شيئا • ان مقياس الطبيعة للزمن ، هو تلك السلسلة المتعاقبة من الاعمال والافكار ، التي تتكون منها الحياة الحقة وليس ساعات الفراغ العقيمة • فالآثار المنتجة البناءة ، والانتاج العقلي ، هما المقياس الحق للزمن في عرف الحياة •

وبعد ذلك دخلا مبنى منعزلا عن سائر المباني، وكانت حجارته الرمادية تلمع تحت أشعة الشمس ، التي تجتهد للتسلل عبر نوافذه الضيقة ذات القضبان الحديدية انه السجن اما السجان فقد ترك عمله لاستدعائه من قبل سلطة أعظم من سلطة حكومته •

والسجناء؟ هل راعى رسول القدر عندما فتح الابواب احكام القدر وسلم نزلاء السجون الى يوم الدينونة بحسب الاحكام الدنيوية الصادرة بحقهم ؟

بالطبع لا ! فهناك محكمة أعلى وأعظم يقف فيها في قفص الاتهام السجناء والمحلفون والقضاة على حد سواء

وربما يظهر القاضي اكثر ذنبا من المتهم • السجن الان كالكرة الارضية خال خاو ولكن هاهي ذي الزنزانات الضيقة• انها كالقبور بل اكثر وحشة وفظاعة ففي القبر يدفن

الجسد فقط بينما في تلك الزنزانات يدفن الجسد والروح الخالدة معا • وعلى جدران الزنزانات كانت بعض الكتابات لعلها معبرة عن العذاب او الازدراء للعالم اما هذا السجن فلن ـ يستطيعا ـ ولا أحفادهما ـ لآلاف السنين أن يعرفا ما هو وما أغراضه •

انه مصح خاص بمعالجة أفظع الامراض التي كانت تفتك بأسلافهما الراحلين ، ومرضاه من أولئك الذين تظهر عليهم الاعراض الخارجية للوباء الذي أصيب به الجميع على السواء • نه وباء الخطيئة ! حقا انه لمرض فظيع تظهر اعراضه في اعماق القلوب فيحاول الناس اخفاءها بالخوف والخجل ولكنهم يقسون على من تظهر عليهم اعراض المرض وتبدو للعيان • ولم يكن هناك لاخفاء ذلك المرض افضل من حلة فاخرة تستر المكان الموبوء • وحاول الناس استئصال شأفة هذا الداء وقطع دابره فاستعملوا لذلك كل العلاجات باستثناء العلاج الوحيد وهو الزهرة التي تترعرع في السماء فهي اسمى وأرفع من التدنس بكل موبقات الارض وشقاوتها • ان الانسان لم يحاول مداواة الخطيئة بالمحبة! باليته حاول ذلك مرة اذ لما كانت هناك حاجة لتلك السجون الكئيبة التي كان آدم وحواء يتجولان في احدها الان ليتهما يسرعان بالخروج حفاظا على براءتهما وصفائهما الاصيل وخشية أن يصابا بالعدوى فتتوالد نتيجة ذلك أجيال أخرى ساقطة وأثناء تجوالهما في السجن ، شاهدا نصبا مكونا من عمودين تصل طرفيهما العلويين عارضة ويتدلى منها حبل معقود في نهايته على شكل انشوطة • انها المشنقة ! لقد سدت رؤيتها عليهما مغاليق الفهم •

صاح آدم بفزع : ـ حواء ماذا يكون هذا الشيء ؟

أجابت : ـ لا أدري، اني اشعر بغثيان لم يبق هناك على ما يبدو سماء ولا أشعة شمس !

من الطبيعي أن يرتجف آدم وتجيش نفس حواء أمام ذلك الشيء الذي يعد رمزا لمحنة الجنس البشري • انها محنة الخوف والانتقام التي اتبعها الانسان حتى النهاية مع قلة جدواها • ففي اخر يوم من ايام الجنس البشري على هذا الكوكب ، أعدم مجرم على تلك المشنقة • اعدموه لانه مذنب بينما لم يخل انسان قط من الذنوب • ياليت الناس سمعوا وقع خطا يوم القيامة المقترب • اذا لما انهوا صفحة وجودهم على الارض بهذا العمل • ما لبث آدم وحواء الجديدان أن اسرعا بمغادرة السجن • ليتهما ادركاكم كان السكان السابقون مكممين بأخطائهم يرفلون في اغلال انحرافاتهم وضلالاتهم ، اذا لغدا العالم بأسره سجنا كبيرا ولرأيا في خروج الجنس البشري من الارض انعتاقا وتحررا له • وبعد ذلك دخلا احد البيوت الخاصة دون ان يستأذنا بالدخول اذ لو انهما ظلا يقرعان الجرس طوال اليوم لما أجابهما احد • كانت تتجاوب في ارجاء المسكن اصداء انغام موسيقية صاخبة وحزينة • تارة تعلو كهزيم أرغن وتارة تتلاشى كالهمسات الخافتة وكأن أرواح المقيمين الراحلين كانت تندب نفسها في فراغ المسكن • او لعلها فتاة عذراء وهي أطهر مخلوقات الجنس البشري قد بقيت على قيد الحياة حتى تقيم جنازا على ارواح ابناء البشرية أجمعين • ولكن الامر ليس كذلك ، فما كانت الانغام الا الحان قيثارة الرياح تصب فيها الطبيعة انغامها المنبثقة في كل نفس من انفاسها • مرة في انسام عليلة واخرى في زاوبع هوجاء • كان لتلك الالحان الطبيعية أثرها في نفس آدم وحواء فقد استخفهما الطرب والحبور لسماعهما انغام الطبيعة •

ومن هنا كان تأثر الانسان بالموسيقى • وما أن هدأت الرياح وكفت عن العويل حتى شرع الاثنان في فحص اثاث الغرف الفاخر والتزيينات والسجاجيد الفخمة • لقد استهوت تلك الاشياء انظارهما التي لم تتعودا تلك المناظر ولكنها لم تحدث في قلبيهما أي أثر حتى الرسوم المعلقة على الجدران لم تحظ بالكثير من اهتمامهما ، لانها تمثل اشياء خداعة لا تستسيغها العقول المنفطرة على البساطة • ثم تفحص الضيفان بعض صور العائلة ولكنهما لم يستطيعا أن يدركا أن هذه الصور هي لمخلوقات بشرية بسبب تلك الازياء العجيبة التي لا يقبلها المنطق ، والملامح والتعابير المشوهة بفعل وراثة عصور من الفساد العضوي والاخلاقي • الا انها الصدفة السعيدة هي التي أتحفتهما بصورة من الجمال الانساني الحي ، الذي صاغته الطبيعة لتوها فبينما هما يدخلان القاعة الكبرى في البيت اذ بهما يجمدان وقد اعتراهما الذهول والدهشة فقد وقعت ابصارهما على مخلوقين يتقدمان لاستقبالهما • اليس امرا رهيبا ان يتصورا وجود احياء غيرهما لا يزالون على قيد الحياة ؟

صاح آدم متعجبا : ـ كيف يمكن ان يكون هذا يا جميلتي حواء ؟! هل تكونين في مكانين مختلفين في وقت واحد ؟

اجابت حواء متشككة ولكن بسرور : ـ وانت ايضا يا آدم ! بالتأكيد ان هذا الشكل الرائع هو انت على الرغم من انك تقف الى جانبي • اني قانعة بادم واحد وارى انه يجب الا يكون هناك اثنان •

من الواضح ان هذه المعجزة احدثتها مرآة كبيرة تتصدر القاعة وسرعان ما ادركا سر هذه الظاهرة ، فقد اوجدت الطبيعة مرآة للانسان على صفحة كل ينبوع رقراق للمياه • اما مرآة جبالها وهضباتها وقمرها وكواكبها فكانت في تلك البحيرات الهادئة الشافة • لقد افعم السرور نفسيهما وهما يتأملان وجهيهما في المرآة • وبعد ذلك اكتشفا تمثالا من الرخام يمثل طفلا على درجة كبيرة من الجمال والاتقان ،

مما جعله مشابها لهما في الخلق • ان فن النحت في اعـلى مراحل اتقانه وروعته لهو اعظم واكثر اصالة من فن الرسم

واقرب الى الطبيعة • والتمثال المتقن يبدو وكأنه من صنع الطبيعة نفسها كالازهار واوراق الشجر لقد بدا تمثال ذلك الطفل الصغير كالرفيق لادم وحواء في وحدتهما •

همست حواء في اذن زوجها : ــ آدم ، يا زوجـــي العزيز

فسألها آدم : ــ ماذا تبغين ان تقولي يا عزيزتي ؟

قالت بشعور من الخشية والقلق : ــ اني اتساءل ما اذا كنا وحدنا في هذا العالم • فهذا الشخص الصغير الجميل، هل سبق له ان تنفس ؟ ام انه ظل لسبب ما كخيالاتنـــا في المرآة ؟

قال آدم وهو يعصر جبهته بيده : ــ انه لامر عجيب محير ! هنا اسرار تحيط بنا وتلفنا • ان فكرة تحوم منطلقة امامي باستمرار ، وتوحي لي بالتشبث بها • حواء ! هـل

نحن ندوس في مواطىء اقـــدام مخلوقات تشبهنا ؟ اذا كان الامر كذلك فأين ذهبوا ؟ ولماذا يكون عالمهم هذا غير ملائم لنا ، ولا يصلح مكانا لا قامتنا ؟

أجابت حواء : ــ ان ابانا العظيم وحده هو الـــذي يعلم • ولكن شيئا ما يوحي لي باننا لن نبقى وحيديـــن

ابدا • وكم هو عظيم أن تزورنا مخلوقات جميلة كهـــذا الشكل الصغير ! وكلما طال تجوالهما في ارجاء المسكن كانا

يشاهدان المزيد من الاثار التي تؤيد فكرتهما الاخيرة عن حياة سابقة لمخلوقات من جنسهما مما زاد من اهتمامهما بتلك

الاشياء واستغرابهما • لقد تركت المرأة وراءها آثار تأنقها ورفاهة ذوقها ، فعندما نقبت حواء في سلة الاشغال اليدوية عثرت في داخلها على قمع للخياطة وبدافع غريزي ادخلته

في انملها ثم تناولت قطعا من القماش المطرز بأزهار تقليدية ان الحسناء التي كانت تستعمل الابرة لخياطة هذه القطعة

رحلت مع الراحلين قبل انهاء عملها فيا ليوم القيامة ! الا ليته تريث قليلا حتى تنهي الغادة عملها • اما حواء فقــد

شعرت برغبة تتملكها لاتمام خياطة القطعة • وبعد ذلك وقع بصرها على بيانو فمرت بأصابعها على مفاتيحه بغير اكتراث

ففوجئت بانبعاث الحان لا تقل روعة عن الحان قيثـــارة الرياح ولكنها اكثر مرحا ثم دخل الاثنان غرفة للاطفـــال

فطالعتهما فيها ملابس الاطفال الصغيرة وقبعاتهم واحذيتهم الصغيرة • كان آدم ينظر الى تلك الاشياء دون اهتمام • اما

حواء فقد غرقت في تأمل صامت يبدو من الصعب ان تستفيق

منه • ومن سوء الحظ ان تقوم في ذلك البيت حفلة غـذاء ضخمة في اليوم ذاته الذي دعي فيـه الجنس البشري بأسره الى عالم مجهول في اعماق الفضاء اللا متناهي • كانت المائدة جاهزة والضيوف على وشك الجلوس في اماكنهم عندما حلت

ساعة القضاء • وهكذا وجد آدم وحواء نفسيهما ضيفـين غير مدعوين الى تلك الوليمة • ومع ان الطعام كان باردا

فقد حفلت المائدة بشتى أصناف المقبلات الشهية التي كان اسلافهما يزودون بها موائدهم • ولكن من الصعب جدا ان

نتخيل الحيرة البالغة التي وقع فيها هذان الزوجان المطبوعان على الفطرة في انتقاء وجبة طعامهما الاولى الملائمة لهما والتي

أعدت في الاصل لاستثارة شهيات أقوام عصرية متمدنة فهل ستعلمهما الطبيعة مذاق صحن من حساء الطيور ؟ او طريقة

انشاب انيابهما في قطعة من فخذ الغزال ؟ ألن تجعلهمـــا يشمئزان من الاسماك والدجاج وسائر اللحوم ؟

انها بالنسبة الى انفيهما النقيين لا تحمل سوى رائحة الموت والعفن الكريهة ! ان مائدة الطعام هذه لم تحو صنفا

واحدا يستطيعان تعرفه والاقبال على تناوله • ولحسن الحظ كانت هناك على مائدة مجاورة أصناف من الفواكه • فصاح آدم الذي كانت غريزته اقوى واسرع من غريزة حواء

ــ هنا يا عزيزتي حواء • هذا هو الطعام •

اجابت حواء وقد تحركت فيها غريزة ربـة المنزل : ــ حسنا جدا • لقد انشغلنا كثيرا هذا اليــوم • ان تلك

الوجبة الغذائية ستكون ذات فائدة لنا • اقتربت حواء من المائدة وتناولت من يد آدم تفاحة وردية اللون تعويضا عن

التفاحة المشؤومة التي كانت سببا في اخراج آدم وحـــواء الاولين من الجنة • أكلت حواء التفاحة من غير خطيئة هذه

المرة ونأمل أيضا ان لا تقع عواقب وخيمة تهدد اجيالهـــا واحفادها المقبلين •

قال آدم مستفسرا : ماذا يجـب ان نشرب يا حواء ؟ فنظرت حواء الى بعض القوارير التي تحتوي على مشروبات

روحية وخمور معتقة ولما اشتمتها بانت على وجهها ودلائل الاشمئزاز وصاحت :

ــ ما هذا ؟ ما هذه المادة الموجودة في الزجاجـات ؟ يظهر ان المخلوقات التي وجدت قبلنا لم تكن من طبيعتنا فلا جوعهم كجوعنا ولا عطشهم كعطشنا •

قال آدم :ــ أرجو أن تناوليني هذه الزجاجة فان كان من الممكن شربها بأية طريقة فسأفعل لارطب بها حلقي •

وبعد قليل من الممانعة تناولت حواء زجاجة شمبانيا وعندما فتحتها فزعت من الصـوت الشديد الـذي أحدثـه انفتاح

السدادة • فسقطت الزجاجة من يدها على الارض وتحطمت وسال محتواها على البلاط وهو يفور فيا ليتهما تجرعا من

هذا الشراب حتى يختبرا طبيعة السكرة المخدرة قصيرة المدى

التي كان الانسان السابق يبحث فيهـــا عن التعويض عن الحياة الهادئة البهيجة التي افتقدها بتمرده على الطبيعة • وأخيرا عثرت حواء في البراد على بريق زجاجي مليء بالمياه

الباردة النقية فشربا كلاهما وشعرا بالانتعاش وخطر لهما ان هذا السائل الفاخر ينسجم مع ينبوع الحياة المتدفق في اعماقهما .

قال آدم : ـ والآن يجب علينا ان نكشف اي نوع من العالم هذا . ولماذا جيء بنا الى هنا .

فأجابته حواء : لماذا ؟ كي يحب بعضنا بعضا . ألا تكفي هذه المهمة ؟

قال آدم وهو يقبلها : ـ انه لكذلك حقا . ولكني لا أزال أشعر بما يوحي الي بوجود اعمال يجب القيام بها هنا . فلربما كان عملنا المقرر هو الصعود الى السماء التي هي أجمل بكثير من هذه الارض .

غمغمت حواء قائلة : ـ ليتنا الان في ذاك المكان النائي . اذا لما كان هناك عمل أو مهمة تقف بيننا !

وبعد ان غادر الاثنان هذا البيت عبر الشارع الرئيسي وكانت الساعة المثبتة على مبنى الحكومة تشير الى وقت الظهيرة حين تكون المضاربات المالية في سوق البورصة على أشدها فتعطي رمزا حيا للشغل الشاغل للعالم الراحل في دنياه الزائلة . ولكن الشارع كان مقفرا الآن وقد خيم عليه سكون الازلية المطبق . لم يكن في الطريق غلام واحد ليبيع هذين المخلوقين صحيفة تنقل أخبار احداث الامس ومآسيه . ان أتعس الاوقات العصيبة التي مر بها التجار والمضاربون كان هذا الوقت الذي يعد اسوأها جميعا لانه اقترن بافلاس عام شاركت فيه كل الخليقة . فوا أسفاه لهؤلاء الرأسماليين الذين حققوا اخيرا أمانيهم في الثروة بعد جهد كبير . وا أسفاه لرجال الحركة التجارية الاذكياء الذين كرسوا السنين الطوال لاكثر العلوم صعوبة وتعقيدا وكادوا يبرعون فيه حتى اعلن النفير الافلاس الكوني الشامل ترى هل حرصوا على أخذ كميات من العملات معهم الى حيث ذهبوا أو بعض الحوالات المالية ليصرفها لهم صراف السماء ؟

دخل آدم وحواء أحد المصارف يجب ألا يفزع من ذلك أصحاب الاموال المودعة في المصارف لان هذين المخلوقين في غير حاجة الى تلك الاموال فهي لا تختلف عندهم في شيء عن حجارة الطريق . لا داعي اذا لاستدعاء رجال الشرطة !

كان المنظر غريبا عن آدم وحواء فأقبلا على العملات الذهبية واغترفا منها ملء أكفهما واخذا ينثرانها الى الاعلى بمرح وسرور وهما يستمتعان بمنظر الذهب البراق وهو يلمع في الهواء كرذاذ النافورة . لقد اكتشفنا الآن العامل الاساسي الذي كانت تقوم عليه الحياة الماضية . انه الذهب .. جوهر النظام المتغلغل في شرايين الانسانية والذي كتم انفاس طبيعتها الاصلية بقبضته المميتة . ولكن هذه الثروات المختزنة ليس لها أي تأثير على هذين الزوجين . ان اكداس الذهب عاجزة حيالهما ولا يسعها أن تحدث في نفسيهما أي أثر . وهنالك ايضا تتكدس إكوام هائلة من رزم الاوراق النقدية . تلك القصاصات من الورق كانت لها القدرة على بناء قصور تخلب الالباب . ولكنها الآن ليست سوى اشباح نقود . انها مجرد ظلال لظل . ما اشبه هذا المنظر بكهف ساحر وقد كسرت عصاه السحرية فتلاشت المناظر الوهمية وتبددت الرؤى الخداعة وتبعثرت على الارض ادوات السحر .

قال آدم : ـ اننا نجد في كل مكان اكواما من هذه التفاهات اعتقد ان شخصا ما قد كلف نفسه عناء جمعها . ولكن لأي غرض ؟ ربما نجد انفسنا في المستقبل نفعل ما نفعل . فهل سيكون هذا عملنا على هذه الارض .

أجابت حواء : ـ لا لا يا آدم . من الافضل ان تجلس بهدوء وتنظر الى السماء . ومن ثم غادرا المصرف في الوقت المناسب اذ لو تريثا قليلا لكان من المحتمل ان يظهر لهم شبح أحد الرأسماليين الذين لا يمكن أن تحوم ارواحهم الا في أقبية تلك البنوك حيث تدفن ثرواتهم . ودلفا بعد ذلك الى حانوت للمجوهرات وسرهم مرأى اللآلىء والاحجار الثمينة فاختار آدم عقدا من اللؤلؤ الثمين وعقده حول رأس حواء . ثم ثبت دبوسا ماسيا كبيرا في ردائه ، فشكرته حواء وأخذت تتأمل نفسها بابتهاج في المرآة ثم وقع بصرها على طاقة من الورود والازهار الزاهية في آنية ممتلئة ماء فأطاحت بعيدا باللآلىء الثمينة وزينت نفسها بتلك اللآلىء الطبيعية فبدت على قدر كبير من الجمال والجاذبية .

قالت حواء : ـ من المؤكد انها كائنات حية !

أجابها آدم : ـ أعتقد ذلك . ويبدو انها حديثة العهد بهذا المكان مثلنا . يجب ألا نحاول اقتفاء خطوات هذين المكتشفين في كل خطوة يخطوانها فقد ارسلهما الله كي يصدرا أحكاما فطرية على أعمال الجنس البائد ومنجزاته . فهما الآن بما يتمتعان به من الحصافة والادراك السديد بدآ يفهمان اشياء كثيرة من تلك التي تحيط بهما .

لقد خمنا بان ابنية تلك المدينة لم تشيدها اليد ذاتها التي خلقت الكون بل أقامتها مخلوقات على شاكلتها من أجل المأوى والمسكن . ولكن أنى لهما أن يفهما السر في كون أحد هذه المساكن على جانب كبير من العظمة والفخامة بينما يقوم الى جانبه مسكن آخر في أسوأ حالات البؤس والحقارة . ترى من خلال أية مرحلة يمكن أن تدخل عقليهما فكرة الرق والعبودية ؟

متى يفهمان الحقيقة الكبرى المؤسفة والتي تظهر دلائلها في كل مكان وتشير الى ان نسبة ضئيلة من سكان الارض الضالين كانوا يتمرغون في الترف والبذخ بينما تكد

الغالبية العظمى من الناس وتشقى من أجل الحصول على قسط غير كاف من الطعام •

لا بد من حدوث تغير شنيع في قلبيهما كي يدركا أن قانون المحبة الفطري قد نقض تماما حيث بات الاخ يتوق

للحصول على ما يملكه اخوه وعندما يبلغ ذكاؤهما مدى أبعد سيصبح لديهما مسوغ بسيط للاستمتاع والبهجة على أنقاض الجنس البشري المطرود •

كان آدم وحواء قد بلغا في تجوالهما ضواحي المدينة فوقفا على مرتفع يكسوه العشب ويقوم عليه تمثال رخامي

يتجه نحو السماء وكأن الاسرة الانسانية قد أقرت بوجوب تقديم الشكر والابتهال الى الخالق بواسطة هذا الرمز القادر على الاحتمال والبقاء على مر الزمن •

أحدث النصب الذي يتسامق بوقار وبساطة اصيلة تأثيره في نفسي آدم وحواء • وكان تفسيرهما لمدلوله انقى وأطهر مما استهدفه الذين أقاموه •

قال آدم : ــ حواء • انها صلاة واضحة •

أجابت حواء : ــ ويجب أن نصلي نحن ايضا ان لهما كل العذر في عدم القدرة على فهم مغزى هذا النصب التذكاري ففكرة الحرب لم تخطر لهما في بال • هل يستطيعان ان

يتصورا ان ذلك المرج الاخضر الذي يقفان عليه الآن بأمن وطمأنينة كان في يوم ما مسرحا تتناثر عليه جثث الرجال ؟

سوف يندهشان كثيرا لو ادركا ان جيلا من الاجيال يرتكب تلك المذبحة ويأتي بعده جيل يخلد ذكراها !

وبشعور فياض بالبهجة والحبور انطلق آدم وحواء يتجولان عبر الحقول الخضراء وعلى ضفة نهر هادىء • وبعد مدة دخلا مبنى رمادي اللون • وكان ذلك المبنى هو جامعة

كبرى يدون الجنس السابق في مكتبتها الغنية ما يراه جديرا بالتدوين • لم يسبق لطالب ان استمتع بمثل هذا السكون والهدوء اللذين يسودان ارجاء المكان •

أخذ آدم ينظر الى الصفوف الطويلة المتراصة من المجلدات • انها علوم وحكمة الانسان مختزنة من الارض

حتى السقف • تناول آدم احد المجلدات الضخمة وأخذ يتمعن في تلك الاعمدة من الكتابات المبهمة • كان لتلك الافكار

المدونة على الصفحات تأثير غامض على عقله • وقد غرق في حيرة بالغة وهو يحاول عبثا فهم ما يعرفه • فيا آدم لقد

تسرعت كثيرا فان خمسة آلاف عام على الاقل يجب أن تمر قبل أن تتمكن من وضع نظارات على عينيك وتحشر نفسك في زوايا المكتبات •

قالت حواء : ــ انك لتبدو جد مهموم ومنشغل البال

يا عزيزي آدم دعنا نتحدث مع نفسينا ومع السماء والارض الخضراء باشجارها وازهارها فسوف تعلمنا من ألوان المعرفة اكثر مما نجد في هذه المجلدات فتنهد آدم وقال : ــ حسنا

يا حواء • ربما تكونين على حق • ولكني اعتقد اننا يمكن ان نجد تفسيرا لكل تلك الالغاز التي نتخبط في دوامتها فأجابت حواء باصرار :

ــ من الافضل الا تشغل نفسك في البحث عن التفسيرات

أما من جهتي فان هواء هذا المكان لم يناسبني • فاذا كنت تحبني حقا فهيا نخرج من هنا •

وكان لحواء الغلبة فأنقذ الاثنان من المخاطر الغامضة في هذه المكتبة •

كان النهار على وشك الانتهاء عندما وصل هذان المخلوقات اللذان لم يلدهما انسان فان الى مقبرة المدينة •

بينما الجمال الاخاذ يسود الارض والسماء وهما يجتازان الممرات المتعرجة والشواهد الرخامية والمحاريب والقبور •

وأخذ الاثنان يتريثان للتأمل تارة في هذه الاشكال التي انتجها الانسان وتارة في الزهور حيث تحيل الطبيعة

الانحلال والفناء الى اشياء جميلة • هل يستطيع الموت ــ وهما الآن وسط انتصاراته القديمة ــ أن يفهم انهما

قد ورثا اثقل الاحمال الدنيوية ، ذلك الحمل الذي انسحقت

تحته كل الاجناس الحية • ليس لهما الآن اقرباء تواريهم القبور •

فهل يا ترى سيعرفان عما قريب بان الزمن له حق لا يرد على جسديهما ؟

ان ذلك ليس بالامر المستبعد فلا بد أن يكون هناك من الظلال ما يوحي لهما ، حتى وهما في بداية عنفوان

شمس حياتهما . بفكرة عدم تلاؤم الروح مع ظروفها وبيئتها الحاضرة • لقد تعلما ان شيئا ما لا بد ان يلقى جانبا ففكرة الموت موجودة فيهما أو انها ليست بعيدة عنهما • ولو شاءا أن يتخذا له رمزا لكان ذلك الرمز فراشة تحلق في الجو او

ملاكا يشع نورا وهو يدعوهما الى الاعالي او طفلا نائما

يتمتع بأحلامه البريئة المنظورة من خلال صفائه ونقائه الشفاف كالطفل الرخامي الذي يتأملانه الآن تماما •

قال آدم ويده في يدها وهما يتأملان هذا التمثال الجميل للطفل : لقد غادرتنا الشمس والعالم يخبو متواريا

عن انظارنا فهيا ننم نحن كما ينام هذا التمثال الصغير • ان ابانا وحده يعلم ايا من الاشياء التي رأيناها اليوم

ستحجب عنا الى الابد • وحتى لو كانت حياتنا هذه ستغادرنا مع الضوء الراحل فاني لا أشك أن صباحا آخر سوف يلقانا

في أي مكان تعمره ابتسامة الخالق الذي أشعر انه قد أمر نعمة الوجود الا تستمر •

أجابت حواء : ليس بذي بال المكان الذي سنكون فيه ما دمنا سنبقى معا الى الابد !

في قواعد تحقيق المخطوطات

سمر روحي الفيصل

لا أريد لهذه الاسطر ان تكون كاملة في الحديث عن قواعد تحقيق المخطوطات ، لسبب واحد هو انني لم أحط بهذا العلم احاطة أهله به . فدنيا المخطوطات هي عالم الدقة والصبر ، دنيا متنوعة في خبراتها ، حتى لتكاد كل مخطوطة تؤلف عالما قائما بنفسه مستقلا عن العوالم الاخرى . ولن يستطيع باحث الاحاطة بقواعد تحقيق المخطوطات من غير سنوات طويلة ينفقها في التحديق والجري والتأمل في كل كلمة من مخطوط ما ، ودون أن يعاني من عذابات مستمرة مع مخطوطات كثيرة ، ودون أن يشعر انه عمل فأحسن ، وكتب فأجاد النقل .

ان المحقق انسان دؤوب ، جلد على المصاعب ، واسع الثقافة ، خبير بأنواع الخطوط وقواعد التأليف ، عالم بأحوال الامم ومصائرها ... ان المحقق كلمة لا تكفي فيها كلمات ، فله شروط دقيقة من حيث الثقافة العامة ، والخاصة ، والخبرة ، والمران ، و .... فكيف نستطيع اذن ــ والقولة كما ذكرنا ــ ان ندعي اننا نستطيع تقعيد قواعد المخطوطات عن فهم وتبصر ؟...

برغم ما قدمت فان القواعد الاساسية لتحقيق المخطوطات معروفة ، هي علم قائم بنفسه ، غير أنه علم ضيق الحدود ... هو علم لم نتوارثه عن الاجداد ، هو علم حديث استخلصه جهابذة المحققين العرب والمستشرقين الاجانب وقعده في مسائل مضبوطة معروفة سنتحدث عنها بعد ... واذن فما قدمت ينصرف الى الوجه الاخر من التحقيق ، ينصرف الى المضمون الذي يحتاج الى بصيرة ، وانعام نظر ، ومران ، وطواعية .

هذا ، وليست القواعد التي سنذكرها من بنات أفكارنا ، أو من نتاجات مجهوداتنا في المخطوطات ، وانما هي خلاصة ما عاناه المحققون العرب ودونوه في مقدمات

مؤلفاتهم المحققة ، ومن النظر في اعمال الغربيين وبخاصة طرائقهم في «فهرسة » الكتب العربية ونشرها ، وان كان القارىء لا يعدم في الوقت نفسه خلاصات دونها بعض المحققين الاجلاء في أوراق خاصة نشروها بين الناس، من مثل صنيع المحقق السوري الفاضل الدكتور صلاح الدين المنجد الذي تعرف المخطوطات العربية فضله عليها تحقيقا ونشرا، ويعرف له المحققون فضل الريادة في تقعيد قواعد تحقيق المخطوطات (١) .

القسم الاول

★

قواعد تحقيق المخطوطات

يبدا النهج السليم في التحقيق حين يختار المحقق مخطوطا يوافق اختصاصه العلمي، فليس المحقق ذو الاطلاع الادبي واللغوي بقادر على تحقيق مخطوط في علم الكلام او التاريخ أو الرحلات أو حتى النحو ، فلكل مخطوطة محققها الذي يجب أن ينصرف اليها، فاذا وافق المخطوط علم المحقق فان عليه :

اولا ــ التوثيق :

آ ــ توثيق المؤلف

ينبغي للمحقق النظر في المؤلف لانه الخطوة الاولى في توثيق المخطوطة المراد تحقيقها . وينشعب هذا النظر في اتجاهين رئيسيين :

أولاهما : توثيق كون المخطوطة المراد تحقيقها هي لهذا المؤلف أو لغيره . ذلك انه جرت عادة عند بعض متملكي المخطوطات هي أن يضعوا عنوانا للمخطوطة من عندهم اذا كانت صفحة العنوان مفقودة ، وبعضهم يجري على عادة وضع عنوانات لكتب متأخرة على مخطوطات أحدث لمنحها أهمية أكبر . لهذا كان توثيق العنوان مهما ، ويتم ذلك بالرجوع الى مصادر ترجمة المؤلف لمعرفة اسم المخطوطة ، واحيانا بقراءة خطبة المخطوطة (مقدمتها) ، اذ جرى بعض المؤلفين على ذكر اسماء كتبهم في مقدمات كتبهم ، أو بالرجوع الى مضمون الكتاب نفسه (٢) .

وثانيهما : الفهم الدقيق لادب المؤلف واحوال عصره الادبية والاجتماعية.. هذه النقطة هامة لانها تسمح للمحقق بالدخول الى عالم المؤلف الذي سيعيش معه في اثناء تحقيق المخطوطة ، مما ييسر له سبل القراءة ، وفهم طريقة التأليف ، واستعمال المؤلف لمصطلحات او كلمات او تعابير بعينها .

ب ــ توثيق المخطوطة :

يراد بتوثيق المخطوطة عادة توثيق محتواها ، من

حيث كونها تتضمن مادة الكتاب الذي وضعه المؤلف · ذلك ان المحقق حين يشرع في التحقيق تتبدى امامه احتمالات شك متعددة ، منها كون العنوان لمؤلف ومادة الكتاب لمؤلف آخر، ومنها (٣) امور اخرى سنتحدث عنها في اثناء حديثنا عن جمع النسخ ومقابلتها · واختصارا نقول هنا إن توثيق المحتوى يعني « ان نوثق احتواء المخطوط على مادة الكتاب المدون عنوانه عليه · ويتم ذلك بالرجوع الى ما اقتبسه المؤلفون منه من فقرات وعبارات ، سواء من صرح منهم بهذا الاقتباس وعزاه الى كتابه ، ومن لم يصرح ولكن البراهين قامت على استفادته منه · فاذا ما قابلنا هذه المقتبسات بنظائرها في المخطوطات ، واتفق النص فيها اتفاقا تاما او لم يتعد الاختلاف ما يكون بين النسخ المختلفة من الكتاب الواحد كان لنا أن نطمئن الى مادة الكتاب (٤) ·

ثانيا ـ التحقيق :

تتضمن هذه الخطوة الثانية مراحل متعددة تنتهي بكتابة نص الكتاب كما وضعه مؤلفه ، أو في صورة قريبة جدا منه ، وهذا هو معنى التحقيق الاساسي · ولنقف عند كل مرحلة نستطلع واجب العمل فيها :

أ ـ جمع النسخ :

يسأل المحقق نفسه عادة هذا السؤال : هل هذه المخطوطة هي الوحيدة الموجودة في خزانات الكتب ، أو أن هناك مخطوطات اخرى للكتاب ؟· اذا أيقن انه لا توجد غيرها كانت نسخته يتيمة ، وكان تحقيقه معتمدا عليها وحدها في اخراج النص في صورته الصحيحة · أما اذا كانت هناك نسخ متعددة للمخطوطة الواحدة فان عليه الحصول على النسخ كلها ·

يتضمن هذا الجمع معرفة أماكن وجود النسخ في مكتبات العالم ، ومعرفة ما اذا كانت هذه المكتبات قد فهرست مخطوطاتها · ذلك ان الفهارس تعين في القاء نظرات أولية على المخطوطات لمعرفة ما اذا كان نسخة طبق الاصيل عن الموجودة بحوزة المحقق أم غيرها ، فاذا كانت هي نفسها فلا حاجة به اليها ، أما اذا كانت مختلفة فان عليه تصويرها · ومما يسهل هذا الامر وجود فهارس متنوعة للمخطوطات دونها اصحابها او المعنيون بشؤون المخطوطات ، او القائمون على أمرها (٥) ·

ب ـ ترتيب النسخ :

بعد أن تتوافر لدى المحقق نسخ المخطوط كلها ، يكون عليه ترتيبها ، أما كيف تكون مراتب النسخ فاننا نترك للدكتور صلاح الدين المنجد الحديث عنها :

« مراتب النسخ تكون كما يلي :

١ ـ أحسن نسخة تعتمد للنشر نسخة كتبها المؤلف نفسه، فهذه هي الأم ·

٢ ـ عند العثور على نسخة يجب أن نبحث اذا كان المؤلف ألف كتابه على مراحل او دفعة واحدة ، لنتاكد ان النسخة التي بين أيدينا هي آخر صورة كتب المؤلف بها كتابه ·

٣ ـ بعد نسخة المصنف تاتي نسخة قرأها المصنف اوقرئت عليه ، وأثبت بخطه أنه قرئت عليه ·

٤ ـ ثم نسخة نقلت عن نسخة المصنف او عورضت بها وقوبلت عليها ·

٥ ـ ثم نسخة كتبت في عصر المصنف عليها سماعات على علماء ·

٦ ـ ثم نسخة كتبت بعصر المصنف ، ليس عليها سماعات ·

٧ ـ نسخ اخرى كتبت بعد عصر المؤلف · وفي هذه النسخ يفضل الاقدم على المتأخر ، والتي كتبها عالم اوقرئت على عالم ·

٨ ـ أحيانا نعثر على مخطوطة ليس عليها تأريخ النسخ ، أو أي إشارة تدل على تاريخ كتابتها · يمكن عندئذ تحديد تاريخها بواسطة الخط الذي كتبت فيه ، فان لكل عصر من العصور نوعا من الخط عرف به ، وللطالب أن يكتسب الخبرة والمعرفة بخطوط المخطوطات ، وما يرجع منها الى كل عصر ، بكثرة الاطلاع على المخطوطات ، او مراجعة كتابنا « الكتاب العربي المخطوط ـ الجزء الاول ـ النماذج » او فهارس مكتبة شستربتي ، فقد ذيل المستشرق «أربري» مجلداتها بنموذجات من أنواع الخطوط المستخرجة من المخطوطات ·

٩ ـ لا يجوز نشر كتاب عن نسخة واحدة اذا كانت للكتاب نسخ أخرى معروفة ، لئلا يعوز الكتاب ، اذا نشر ، التحقيق العلمي والضبط » (٦) ·

نضيف الى ما ذكره الدكتور المنجد أن المحقق قد

لا يجد « أصلا » يعتمده برغم عمله هـذا في الترتيب ، ومعنى هذا ان عليه اخراج النص في أقرب صورة يظن أن مؤلف المخطوطة قد وضعها عليها ، فيتخذ لنفسه مقاييس متعددة تنيره في طريقه منها اعتماده قدم نسخة من النسخ ، او نسخة أخرى يعتقد دنوها من الاصيل الذي وضعه المؤلف، أو نسخة كتبها ناسخ موثوق (٧) أو نسخة اطلع عليها عالم او أكثر وأقر ما جاء فيها (٨)

حين يرتضي المحقق نسخة ما فانه يعتمدها (أصلا) ويعتمد باقي النسخ فروعا معينة ، ويرمز لكل من هـذه النسخ برموز يذكرها في مقدمة الكتاب بعـد الفراغ من تحقيقه (٩) ٠

ج ـ التحقيق :

نكرر القول هنا ان غاية التحقيق هي اخراج النص كما وضعه مؤلفه ، او في وضع قريب جدا منه ٠ وما دام الامر على هذه الصورة فان على المحقق أن يلتزم نهجا يجمع فيه أمرين : اولاهما : تحقيق النص ، وثانيهما القـدرة على جعل القراء يفهمونه كما فهمه معاصرو المؤلف ، وذلك يقتضي نهجا علميا يسد نقص المعرفة في القراء المحدثين ٠

ولنضرب مثلا على نقص المعرفة هذا ، وليكن كتاب « مغني اللبيب عـن كتب الأعاريب » لابن هشـام الانصـاري النحوي (١٠) ٠ ان الذي يقرأ هذا الكتاب النحوي الجامع يخس أن مؤلفه يحفظ القرآن كله ، وهو يورد في كتـابه أجزاء من آيات اعتمادا منه أن قراءه المعاصرين له يحفظون القرآن مثله ، فهم قادرون إذن على معرفة ما سبق هـذا الجزء من الآية ، وما تلاها ، وبالتـالي معرفة الشـاهد النحوي ٠ اما القراء المعاصرون فـلا يحفظون القرآن في الاعم الاغلب ، ولذا فليسوا بقادرين على الانتفـاع من مغني اللبيب انتفاع سابقيهم به ، وهذا نقص في معرفتهم يأتي المحقق فيسده بأن يشير في الحواشي الى تمام كل آية٠ والامر نفسه يجري على النقص في معرفة الحديث الشريف والشعر والنثر واعلام الكتاب ٠٠٠ وهكذا ٠ وهنا نحب أن نشير الى عدم المغـالاة في الشروح والحواشي لئلا يخرج التحقيق عن نهجه العلمي السليم فيثقل عـلى القارىء ، ويشتت انتباهه عن الغرض الاصلي وهـو المتن (النص الاصلي) ٠ ولنمثل على ذلك بتعليقين :

الاول : جاء به « كمال مصطفى » في تحقيقه لكتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر ٠ قال معلقا عـلى حديث النبي (ص) : « خير المال سكة مأبورة ومهرة مـأمورة » : / السكة : الطريق المصطنعة من النخل : وأبر نخلـه : لقحه واصلحـه ٠ والمهرة المأمورة : كثـيرة النتـاج والنسل / (١١) ٠

والثاني : جاء به محققا الجزء الرابع والعشرين من كتاب الاغاني ، عبد الكريم العزباوي والدكتور عبد العزيز مطر ، في معرض تعليقهما على بيت العباس بن مرداس :

أبلغ سراة بنـي بكر مغلغـة
انى أخاف عليهم سربة الـبدار

يقولان في الحاشية ٩ : / « المغلغة : الرسالة المحمولة من بلد الى بلد ، أو الرسالة مطلقا ٠ ف : أخاف عليكم ج، س : سربه الواري ، والسربة على هـذا تكون الاستخفاء ، فالواري أي السارب المتواري (اللسان) ، أو تكون السربة جماعة الخيل المغيرة ٠ والواري : الملتهب ٠ وعلى الرواية الواردة في النسخ الاخرى تكون السربة كما جاء في اللسان ايضا : بعيد المذهب في الارض ، واستشهد ببيت الشنفري:

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل
وبين الجباهيات أنسات سربتي

أي : ما ابعد الموضع الذي ابتدأت منـه مسيرها ٠ وتكون السربة بمعنى السرعة في قضاء الامر ، يقال : انـه لقريب السربة أي قريب المذهب أي انه يخـاف عليهـم الهجوم القريب المتوقع ٠ » / ١٢ ٠

لا أريد ان اذكر سبب كون التعليق الاول أفضل مـن التعليق الثاني ، لكننـي أشير الى ان غرض « التعليق » لا يخرج عن غرض التوضيح ، ولا يكاد يصل الى تزويـد القارىء بمعارف أخرى اضافيـة ، فليس المكان صالحـا للحشو ، بل هو يكمل غاية عرض صورة النص كما يريدها المؤلف ٠

لا نستطيع في هذه العجالة الحديث عن أمور التحقيق جميعها ، فذلك امر إد في عدد محدود من الصفحات ، لكننا لا نعدم الاشارة الى أهم الامور التي ينبغي للمحقق الانتباه اليها ، وسنجعل هذه الامور ضمن التسلسل التالي :

١ ـ يقابل المحقق النسخة المعتمدة بباقـي النسخ ويشير في الحاشية الى ما بينهم من اختلاف وتوافق ٠

٢ ـ يدرس الروايات المتعارضة بعناية وانعـام نظر ، ويثبت في المتن ما يراه أصح المرويات وأقربهـا الى اسلوب المؤلف وطريقته في صوغ عباراته ٠

٣ ـ اذا كان في المتن نقص (خرم) ترك المحقق مكانه فارغا واشار الى هذا النقص في الحاشية ، ويجوز له وضـع هذا الخرم في المتن ضمن علامتي التنصيص اللتين تدلان على أن ما بينهما هو من زيادة المحقق (٠٠٠) ٠

٤ ـ يقول الاستاذ المنجد : « يجب أن ينتبه المحقق الى انه قد يصادف في المخطوطات القديمة حتى القرن السادس، والحديثية منها خاصة ، بعض علامـات او حروف صغيرة وضعت فوق بعض الالفاظ ٠ وقد لا يدري معناها ٠ فمنها:

آ ـ كلمة « صح » ٠ توضع فوق اللفظ ، ومعناهـا ان اللفظ على ما هو مثبت صحيح ٠

ب ـ حرف « ص » ممدودة « صـ » وتسمى « ضبة » أو علامة التمريض ٠ يعني ان اللفظ الذي وضع الحـرف فوقه فيه مرض أو خطأ أو علة ٠

د ـ اذا ضرب فوق لفظ بخط فمعناه انه محذوف ٠ وربما حوق بنصف دائرة فوق الكلام المحذوف ٠ » ٠

٥ ـ يرد المحقق نصوص المؤلف الى مصادرها الاصلية اذا لم يكن المؤلف قد ذكرها ، كما يجب عليه معارضـة النص الـذي نقله المؤلف بمصدره الاصلي والاشارة الى الاختلاف بينهما ان وجد ٠

٦ ـ يقول الاستاذ المنجد : « ولما كانت الحروف غير منقوطة في اصل الكتابة العربية ، فقـد يحدث التباس في قراءتها ٠ ومنعا للتصحيف والتحريف جرى النساخ والعلماء من القرن الثالث حتى السادس ، أن يضعوا بعض اشارات على الحروف لئلا يقع التباس فيها ٠ فمثلا كانـوا يضعون حرف حاء صغيرة فوق حرف الحاء في الكلمة لئلا يقرأ خاء، أو يضعون عينا صغيرة تحت حرف العين لئلا يقرأ غينـا ، وكذلك يفعلون في حرف الصاد والطاء والـدال والراء ، وقد يضعون ثلاث نقاط تحت حرف السين لئلا تقرأ شينا ، لان نقاط الشين من فوق » ٠

٧ ـ يحافظ المحقق على كتابة اسماء الاعلام كما كتبها المؤلف من نحو / سليمن ـ حرث ـ معوية ـ مرون / فـلا يثبت فيها الالف المحذوفة كما نضعها اليوم : / سليمان ـ حارث ـ معاوية مروان / ٠ غير ان عليه الانتباه الى الفرق بين كتابة الالف المقصورة والياء ، واثبات النقطتين تحت الياء منعا للالتباس ٠ (١٣) ٠

٨ ـ يختصر المحقق بعض الالفاظ التي ترد كثيرا من نحو : (رحمه الله ـ تعالى ـ رضي الله عنه ـ الى آخـره ـ انتهى ـ حدثنا ـ أخبرنا ـ أنبأنا) فيكتبها على النحـو التالي : (رحه ـ تـع ـ رضه ـ الخ ـ اهـ ـ ثنا ـ أنا ـ أنبا) ٠ كما يختصر المحقق أسماء الكتب المعروفة المتداولة في رموز خاصة من نحو : معجم البلدان (ب) ، صحيـح البخاري (خ) ٠٠٠ الخ ٠ غير انه من المستحسن دوما ان يشير المحقق الى رموز التحقيق في المقدمة التي يضعهـا للكتاب ٠

٩ ـ اذا كان النص مشكولا وضعه المحقـق مشكولا ، والا فان عليه الانتباه الى شكل كل كلمة تدعو الى الالتباس في قراءتها ٠ ومن المتفق عليه ـ تقريبا ـ ان النص اللغوي يضبط ضبطا كاملا ، والنص الادبي يضبط منه ما يلتبس والنص العلمي يضبط ضبطا يسيرا ٠

١٠ ـ ينتبه المحقق الى تدوين علامات الترقيـم في مواضعها حتى ولو كان المؤلف قد أهملها ٠ كما يجب عليه الانتباه الى الرموز الاصطلاحية من نحو القوسين المزهرين اللذين يحصران الآيات القرآنية، والخطين القصيرين اللذين يحصران الجمل المعترضة ، والخطين (أو القوسين في رأي آخرين) اللذين يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانيـة غير النسخة المعتمدة ٠٠

ثالثا : الفهارس ٠٠

تعتبر الفهارس احدى انجازات المستشرقين في عـلم التحقق ، فقد عنوا بها عنايـة فائقـة ، وبالغ بعضهم في الفهرسة حتى طغت أوراقها على عدد اوراق المتن الاصلي ٠ وعلى أية حال فان للفهارس أهميتها في أي كتاب ، وتتعاظم هذه الاهمية في الكتب المحققة ، اذ الفهارس مفاتيح الكتاب، وطرق هداية القراء الى مضمونه ٠ ويبدو ان اهمية الفهارس تتزايد مع الايام حتى لتكاد في ايامنا تؤلف علما مستقلا له أصوله وطرائق خاصة في صنعه ٠

هذه الفهارس نوعان في الاعم الاغلب : بسيطة تكاد تقتصر على الاشارة الى عنوان الموضوع ورقم الورقة الموجود فيها . ومفصلة : تذكر العنوانات وتفصيلاتها وبجانب كل منها أرقام صفحاتها . والفهارس في هذا النوع الثاني متعددة منها فهرس للاعلام (الرجال والنساء والقبائل ...) وفهرس للاماكن والبلدان ، وللكتب ، وللموضوعات ، وللآيات ، وللاحاديث ... الخ . واليكم نموذجا من هذه الفهارس وضعه الدكتور عمر موسى باشا لديوان الصاحب شرف الدين الانصاري (٥٨٦/٦٦٢ هـ). وقد شغل هذا الفهرس مائة صفحة من الديوان واشتمل على الفهارس التالية :

١ ـ فهرس مصادر التحقيق .

٢ ـ فهرس اللزوميات الواردة في الديوان .

٣ ـ فهرس أعلام الاشخاص .

٤ ـ فهرس الاعلام الجغرافية .

٥ ـ فهرس أعلام القبائل والطوائف والامم .

٦ ـ فهرس التصويبات والاستدراكات .

٧ ـ فهرس محتويات الديوان .

رابعا : مقدمة التحقيق ..

(يتبع في العدد القادم)

---

(١) انظر في هذا رسالته «قواعد تحقيق المخطوطات» ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٩٧٠ ـ الطبعة العربية الرابعة . وانظر بعناية مقدمته للطبعة الاولى وبخاصة التطور التاريخي لعلم قواعد تحقيق المخطوطات.

(٢) ـ حول هذه النقطة يدور أمر هام هو وجود عدد من المخطوطات مجهولة المؤلف ، لذا يكون على المحقق ان ينسب الكتاب الى صاحبه . انظر عملنا في البحث عن مؤلف مخطوطة : أقصى الاماني في علم البيان والبديع والمعاني ، وذلك في مقدمة التحقيق التي سنذكر نصها في آخر هذه الاسطر .

(٣) يؤخذ بعض الناشرين بعنوان الكتاب المتداول فيثبتونه في طبعاتهم ، في حين يكون العنوان الصحيح الذي وضعه المؤلف على نحو مغاير . انظر مثلا ما فعلته منشورات « حمد ومحيو » في بيروت حين طباعتها كتاب : تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ، فقد دون الناشرون على طبعتهم عنوان الكتاب على النحو التالي : تزيين الاسواق في أخبار العشاق . ولم ينتبهوا الى أن مؤلف الكتاب قد أورد اسم كتابه صحيحا في خطبة الكتاب نفسه ص١١ . انظر الكتاب ـ الط ١ ـ ١٩٧٢ .

(٤) انظر د. حسين نصار : تحقيق التراث ـ مجلة الكتاب ـ ص٢٤ .

(٥) انظر ـ مثلا ـ العمل الجليل لمجمع اللغة العربية بدمشق في فهرسة المخطوطات الموجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق كلها تقريبا ، وقارن ذلك بجهلك اسماء المخطوطات الموجودة في دائرة التراث بوزارة الثقافة بدمشق ، ودار الكتب الوطنية بحلب ، ودار الكتب بالقاهرة ، ومكتبة المدينة المنورة بالعربية السعودية ، وغيرهم .

(٦) انظر رسالة « قواعد تحقيق المخطوطات » للمنجد ـ ص ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ . وقارن ذلك بما ذكره د. نصار في ص ٢٥ من المرجع السابق .

(٧) يدرس هذا الناسخ للتأكد من أمانته ، ولهذه الدراسة شروط وطرائق .

(٨) نلاحظ هذا الامر في التعليقات الموجودة على المخطوطة بخط العلماء الذين اطلعوا عليها .

(٩) انظر ما سندونه من مقدمة كتاب: ما بنته العرب على فعال للصفاني ، من تحقيق د. عزة حسن .

(١٠) أجود طبعة ظهرت لهذا الكتاب هي التي قام بتحقيقها الدكتور مازن المبارك ومحمد حمد الله وراجعها الاستاذ سعيد الافغاني ، ونشرتها دار الفكر بدمشق ـ ١٩٦٤ .

(١١) انظر نقد الشعر لقدامة ص١٥،كمال مصطفى ـ مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد ـ ١٩٦٣ .

(١٢) انظر الاغاني ٦٤/٢٤ ـ ٦٥ ، تح : عبد الكريم العزباوي ، والدكتور عبد العزيز مطر . الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

(١٣) يلاحظ أن حروف الطباعة في جمهورية مصر العربية تجري على رسم الالف المقصورة والياء على شكل واحد فلا تفصل بينهما مما يجر الى كثير من الغلط والالتباس .

شوق

ناجي مشوح

أعيناك أم أسطورة الفن هـذه تواكبني ؟ أم رغبة تتنهـد ؟!
تطالعني فيهـا الحياة كشيفة فيبيض لي يوم ٠٠ ويسود لي غد!
أعيناك أم دنيا ذهول وغربـة يشيع بهـا لحن كئيب مهدهد
عشقتك عن يأس يجوب بي المدى ويهفو الى دنيا السراب ويشرد!
يطالعني اما تنهـدت موعـد ويغرب عني ان تنهـدت موعد !
أطلي ٠٠ ففي عيني شوق معذب ملح ٠٠ وفي عينيك شوق مسهد!
أطلي فداك الشوق اسمعك قصة وأنغام حب ما وعاهن منشـد
تذكرني عيناك بالكأس أترعت فلا شارب يهفو ولا ترتمي يد !
وماذا على جفنيك من مبهم الرؤى ربيع وريف أم خريف مبـدد ؟
فان غاب في أهدابها السمر فرقد تبدى على أهدابها السمر فرقد!
عببتك في الكأس الطفيح ارتشافة على ظمأ لا يأتلي يتجـدد !٠٠
اذا ما التقت الحاظنا طاب موسم من الحب ٠٠ مجنون الغوايات ٠٠ أرغد!
وماجت على سهل الشباب خواطر مجنحة أشقى بهـن وأسعـد
أحبك في دنيـا الخريف وريقة مصوحة الأردان صفراء تهمـد
واهواك في الحلم البعيد شقيـة يعذبها ماض من الشجو أبعد !

ناجي مشوح

لامارتين

في ملحمته الانسانية جوسلان

ترجمة : سعيد ابو الحسن

يجدر بنـــا أن نستعرض بعض الاراء القديمة ـالجديدة ، لشعراء « القرن العظيم » في فرنسة ، القـــرن التاسع عشر ، وقد اخترت لهذا مقدمات الملحمة الانســانيةالرائعة « جوسلان » التي نشرها الفونس دو لامارتين اول مرة عام ١٨٣٦ ، وفيها مجموعة من الآراء القيمة في الفرقبين الملاحم القديمة « الشخصية البطولية » ، وملاحم العصر الحديث « الانسانية » ، في الشعر والعمـــل الشعري ، فيالخلق الشعري ، في الانعزال والالتزام ، آراء مبثوثة هنـــا وهناك ، وبين السطور احيانا • رأيت من المفيد أن أنقلهاالى العربية مع اجزاء مختارة من الملحمة ذاتها ، كنماذج من الادب الانساني الرفيع الذي لا يبليه كر الدهور ، وأبدأبعبارة اهداء الملحمة •

ـ المترجم ـ

الاهـــــداء :

الى ماريا ـ أنـا ـ أليزا

يناير ـ ١٨٣٦

يا أنت يا اسم سعادتي العذبا
لو كنت أستطيع أن أكتبا
على ركيزة مزهري (١)
رمزا ، مدى الايام ، لا يمحي
لكان قلبي خط ، قبل يدي
رمزك هذا حيث عمري يحيا
وهو الذي في روح روحي يحيا •
لكنني ، من أجل أن أصون له
صورته الطهور لامرأه
الا اليك أنت لن اكتبه •
يا واديا للظل والازهار
يجري به ماء حياتي سرا
ينساب فيه وهو نصف ناضب
يا واديا ضفافه لطالما زرعتها احزان
اذا تبدى فيك ، آنا وآن ،
ركن من السماء ،
اذا تغنت موجة جارية ، بنجمه •
فلتصعدن اليك هذه النغمه •

★

يا ملجأ في وسط الاعمار
تحيا به في خفية شجرة الشاعر
تحت سماء بدأت تغمرها الظلماء
والنسغ منه ما يزال
يصعد بي ويجري ،
ان كان لما يزل
بعض حطام أخضر ،
من تاجي الاصفر ،
يزهر في الاعذاق
ويتهاوى في رياح الخريف
لميك فلتنزل
هذه الاوراق •

---

(١) ـ المزهر : آلة موسيقية معروفة

من ألف آه

مأمون موللي

انـــت في كلـــي لا ادري كشيء يســري ومــــا ادري سـواه

وعـــلى ثغري أحـلى نغـــم ۰۰۰ ليس آه ۰ انمـــا من الف آه ۰ !

وعيـــو ني ۰۰۰ كلما اطبقتها ۰۰ زارني طيفك في ثـوب الصلاه

وعلى يمنـــاه احنى قمـر ۰۰۰ وعيـون الليل ۰۰ تستجدي خطاه

هو منـــي ۰۰ كيفما شـــاء هواك وانا منـه ۰۰ كمـا شئت هواه

رب طيف شحبت الوانـه ۰۰ في مسافـــات النـــوى ذابـت رؤاه

۰۰۰ ايهـا الزائر نفسي ابـدا ۰۰ ايقظ الوصل على صحو الشفاه

لك في بالي حكايا لم تـــزل في جرار العشق تغـــــلي مـن لظـاه

ها كصدري فاستبح منه الجوى ۰۰ واسكب الراحـين في كأس الاله

وأقـــم في خافقـــي لا زمنيـا ۰۰ ان في الحالـــين اشراق الحياة

★ ★

يـا حبيبي ۰۰ والهـــوى آه ۰۰ وآه ۰۰ كلما لوعني يحلو ۰۰ فآه



وفعلا تقدم مجموعته ... كان يتحرق لذلك ويعلنه باستمرار .. ان تقدمه لايمكن أن يعطى غـير الامتياز والتفرد .. ولذلك كان يريد أن يتقدم .. ومن أجل أن يقترن اسمه بـذلك التاريخ الكبير (كان يتصوره كبيرا) تاريـخ أبسط مدلولاتـه اننا متهمون .. متهمـون حتى الخزي والعار .. لقد درج على أن ينتهي من جميع مراسيم مشاريعه دون أن يثير أي شيء ولذلك كان همه يتعاظم باستمرار .. كان مجالا خصبا للتصورات والتقديرات .. ولولا ايمانه الكامل بخصب هذه التصورات والتقديرات لنفض منها ارادته واطراف ثيابه .. ولولا بعض ماعلق في ذاكرته .. من خلال قصص لم يعشها هو بالذات وانما تخيلها وتصورها من خلال أحاديث وذكريات دامية كانت تتناهى اليه من عجوز ماتت قبل سنتين .. كانت تروي لهم كل ما انصب على كاهلها .. وكم حاول جاهدا أن يجسم تلك الصورة الشوهاء التي انطبعت لها صيغـة معينـة في خياله لاتفارقه أبدا رغم الآلاف من الصور الداميـة التي روتها ورسمتها مخيلة تلك الشمطاء ...

ولما بلغ مستوى الماء ركبتيه أحس بلذعة حادة اعادته لواقعه .. لقد أصيب قبل أيام بخدش طفيف في فخذه .. ونصحه قائد مجموعته بتأجيل رحلته لهذه الليلة ولكنـه أصر على النزهة .. واكتفى بضماد بسيط لايعرقل حركات زحفة على الارض وعبر الاسلاك .. وجاء ليخوض حتى الحزام في مياه النهر المقدس .. ليعمد الجرح الذي لما يزل ينفر ويدمغ كل وجوده انه متهـم .. بالتبعية لتاريخـه المتهم .. وانه مهما حاول وجاد ... انه سيظل علامـة فقط .. علامة ليس غير .. ومع ذلك مع ايمانه العميق بأنه سيكون علامة فقط خاض النهر المقدس .. انه لـم يتذكر بالضبط .. أهي المرة العاشرة أم لا .. لايدري .

حقيقة ثابتة كان يعرفها جيدا .. ان النهر المقدس لاتعيش فيه الافاعي مطلقا .. لذلك كان في تحركاته خلال انغمار ركبتيه وثوقيا لايصدر الا عن عميق ايمان بعدالة قضيته ... كان ساذجا وسماويا في كل مايمكن أن يمت بصلة لما يحيط به .. وبعـد ذلـك كان مغفلا رغم هـذه الرشاشة الرعناء ورغـم تلـك الرمانات الاسطوريـة .. ورغم تلك الاصابع الناعمة التي لاتمت مطلقا باية صلة لعالم الاصابع أو العيون .

وحين يسقط الشعور في وهدة اليأس تصبح كل الحدود بدايات من الصفر .. ويكـون الشيء مجرد .. لاشيء .. وهذا النهر الذي مات تياره هو الآخر يجري في اللاجدوى حيث اطفأت جمرته ريح سـوداء جاءته بهمجية عصرية .. وفي زحمة الهدير .. انسلخ النهر من حوافيه وفقد سماء كانت تتلألأ في أعماقه بشتى الاقمار والنجوم .. ان اديمه هـذا الصافي المترجرج كم شهـد مـن الولادات الفاصلة .. ويوم تمد ذلك الطفل كان النهر وكان ذلك الاديم يتراقص بالنجوم وبالاقمار .. وهو اليوم اذ يعمد جرحه الذي لم يندمل بعد .. واذ يخوض بكل هدوء تيارا ذاتت عروق الحياة فيه انما ليعلن واحدة من تلك الولادات الفاصلة .

صحيح انه بلا هوية .. وهذا لاينفي كونه واحدا من الافذاذ .. وصحيح انه غريب ولكنه لايضرب كما ضرب مجوس الارض من قبل .. انه يتحرك ليدغدغ الصمت وحسبه انه يعبر نهر الآلام . ويتسلل بتصميم أفعواني حيث يجري مجرى الكثبان ليستحيل من ضمن هذه التضاريس الازلية .. وعندما تتلألأ من بعيد اصداء النيون منبعثة من تلك التي تسمى مستعمرات .. تبرد اللهفة لتستحيل هي الاخرى من جمرات القلوب .

ويظل الزمن يضرب بعصبية متناهية كلما اقترب العقربان ليتعانقا معلنين ازدواجية القيم .. وهو كئيب صغير أفنت الريح اكثر ماله .. أو نتوء سرطاني تبرعم من هذه آلام المنكودة .. ليشمخ في المستقبل قمة من القمم يكلم فيها كليم جديد ربه مطالبا اياه بمزايا جديدة لقوم لايعرفون معنى القيادة .

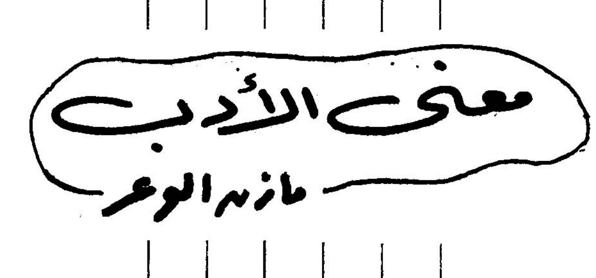
وكلما اقترب من النيون كانت دائرة الافق تضيق في الظلام .. وكانت تصطفق مع توافق الزحف انفاس تجد لها مسارا اخدوديا في الارض .. كان الصخر يحترق وكانت الحناجر والانوف تطلق اللهيب لهذا الاحتراق .. لحظات ويبرد كل شيء .. يستحيل الوجود اختيارا لاغير .. ولو أن التراب تميز بشيء ذلك المساء الا انه ظل نافرا ناتئا متشنجا أرهقه ترقب متشنج والنيون يتضائـل في لحظات ليستحيل بؤرا ضئيلة تعلن باجهاد متداعى عن وجود ظـل العالم يزعق له باستمرار ..

قال قائد المجموعة .. دقائق وينتهي كل شيء ..

وأحس بوخز شديد في كليته .. انه البرد .. والماء ميت التيار .. والاتجاه زحفا نحو الهدف .. هدفه كان بسيطا ان واجبه سيتحدد في هذا الهدف السهل ..

هدفه كان مباغتة الحراس برمانة توزع حباتهـا كيفما يكون .. عليه أن يخرس وباسرع وقت ممكن كل مايحتمل أن يتكلم هنا .. كانوا خمسة يقبعون في حفرة صدئة نتنة ينتظرون .

ومع التراب .. مع الارض هنا كان لقاء .. لقاء لم تشهده الارض من قبل .. فعلى المسارب تحط الاساطير مرفرفة لتختصر الزمن من الداخل .. ليبقى الخارج مغلقا تتقاذفه تيارا تغريبة .. تظل تدفع به نحو المجهول .. حيث يستحيل خرافة أو لغزا مايكتشف بعد .. والنهر ذاك الذي خاصته ارجل الرفاق سيبقى هو الآخر خرافة مالم يستحيل الى ما يشبه الانهار ويتخلى عن بعض قدسيته .. وأمجاده .. وحتى عن بعض شموخه .. لالشيء معين .. وانما ليبقى يجري كما كان .



يصعب كثيرا الجريان وراء مثل هذه الابحاث والكشف عن الستار لشيء اسمه الادب عبر قافلة التاريخ الادبي ٠٠ تلك الفعالية التي استهوت الكثيرين وشدتهم اليها بفعل الجذب النفسي والفكري معا ٠٠٠ وابعدت الكثيرين وان شئت طمست تلك السطحية الادبية عند هؤلاء الكثرة الذين يريدون ان يتلبسوا تاج الادب ٠٠

ومع ذلك فقد خاض الادب معركتين لا واحدة. معركة الاستهواء ومعركة الابعاد وذلك منذ فجر التاريخ الانساني على هذه البسيطة ٠

من المعركتين ، معركة ظهور ادباء منتصرين ومعركة ضمور ادباء مهزومين وهؤلاء هزموا لسطحية النظرة المسلطة على هذا العملاق الذي اسمه الادب كان شيئا يفخر التاريخ لروائع فنه وادبه ٠

لقد كان من المعركتين هذا التراث الادبي الضخم وذلك التراث الفكري العريض ولكن كيف حاول هؤلاء المشتغلون بالصناعة الادبية ان يندسوا في هذا البناء بنظرياتهم ؟

هل كانت محاولتهم جادة في طرح المسألة الادبية على نظار الادب وقرائه ؟

كيف كان ينزاح الادب من فئة الى اخرى عبر المسيرة التاريخية ؟

هل كان طواعية للانصهار او الذوبان في أوعية النظريات التي كانت تحاول ان تلبسه تاج الاصلاح ليكون دفعا للحكمة المجتمعية ؟

هل كان يتأبى على الانصهار في هاتيك النظريات ٠٠٠ يتأبى على الريادة ٠٠ يتأبى على القيادة ؟

هذه اسئلة شاملة وعميقة تحتاج الى صفحات طوال وانما سوف نقتصر في حديثنا على معنى الادب وان اتيح لنا مجال فسوف ندقق النظر فيها بكل ما امكن في اعداد قادمة٠

الحقيقة انه من تعسفية البحث ان يستقر نقدة الادب على تعريف الادب بنمطية واحدة واذا قال : « سانت بيف » الناقد الفرنسي ان اعمال الادباء والشعراء هي قطع من نفوسهم وهي تكتسب الظلال والالوان الداخلية من وعاء النفس ٠٠

واذا جاء تلميذه « تين » الناقد الفرنسي ايضا ورأى ان اعمال الادباء - اضافة الى انها قطع من نفوسهم - هي نتيجة المؤثرات الخارجية البيئية من جنس وزمان ومكان..

اننا نرى ان لا مندوحة من ادخال النفس والبيئة في فلا يعني ان هذه الرؤية خضوع الادب لتعريف النفس وتعريف البيئة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة !!

اننا نرى آن لا مناص من ادخال النفس والبيئة في تعريف الادب ، ولكن يجب الا يغهب عنا تلك العوامل التي كونت تلك النفسية وجعلتها تتلون باشكال مختلفات .. ويجب الا نجهل اختلاف البيئات وتعددها وما يلحق هذا من مدى وبعد وشمولية .

اريد ان اقول : صحيح ان للبيئة وللنفس اثرا كبيرا في تحديد وتعريف تلك المادة الادبية ولكن البيئة والنفس شيئان متبدلان عبر العصور والازمان .. فما تصبغه بيئة ونفس لادب عصر يختلف عن صبغ تينك لادب عصر آخر وذلك في العمق والمدى وما يخلف هذا وذاك من تأثيرات .

واذا كان ذلك الامر فهل هنالك من تعريف يذيب كل هذه العوامل ليخرج بتعريف قابل لمعيارية كل عصر ولنسبية كل زمان ومكان ؟؟

في الواقع ان لا تعريف من هذه النوعية التي طرحت على هذا الشكل السابق .. فاذا نظرنا من خلال القالة التي أوجبت علينا ان لا تعريف ثابت للادب كان علينا ان نقرر ان ثمة اشياء في الادب لا يحدها تعريف ولا يأطرها شكل !!

خذ الادب عند امة العرب تجد ان المفهوم التقليدي للادب لم يتبلور قط في تحديد فلسفي .. وما قالوه من ان الادب هو الشعر والنثر الفني فذلك شيء غير محدد ودقيق .

وخذ الادب عند الاوربين تجد الشيء نفسه وان كانت نظرة الاوربيين لمفهوم الادب اوسع واعمق وادق في الحكم والتعريف !!

بعضهم يقول : ان الادب صياغة فنية لتجربة بشرية أي ذلك الادب الذي يثير فينا بفضل خصائص صياغته انفعالات عاطفية واحساسات جمالية .. من هنا ربط الاوربيون الادب بأثره النفسي .

وبعضهم يرى ان الادب نقد للحياة كما ذهب الى ذلك مايثو آرنولد الناقد الانكليزي .

وقد عرض الاوربيون تعريفات فلسفية كثيرة متنوعة . كثيرا ما تختلف باختلاف مذاهب الادب المتباينة فكل مذهب أدبي أعطى الادب تعريفا ينبع من المرتكز الفلسفي الذي يقوم عليه ذلك المذهب ففي القديم عرف الادب تعريفا ينطبق على واقع الادب وقتذاك وقل الشيء نفسه بالنسبة للادب الحديث .

فالواقعية الاشتراكية تختلف في تعريفها للادب عن المدرسة الوجودية .... والسريالية لها نظرة للادب تختلف عن نظرة العدمية اليه .!!

وكما ذكرنا ان الاختلاف في دلالة هذه الكلمة يشمل جميع الامم ... فكما ان الاختلاف يلحظ في لغتنا العربية يلحظ مثله في بعض اللغات الاوربية الحديثة .

فكلمة « أدب » عند الفرنسيين والانكليز يفهم منها الجيد من مأثور الكلام المنظوم والمأثور وما يتصل به ويفسره من الشرح والنقد والتاريخ .. كما يفهم منها في بعض الاستعمالات كل ما ينتجه العقل الانساني من الآثار التي يصورها الكلام سواء أكانت أدبا أم علما أم فلسفة .

ولكن مهما كانت درجة هذا الاختلاف فاننا نستطيع ان نقول ان لكلمة لادب معنيين مختلفين :

احداهما الادب بمعناه الخاص وهو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية ومنفعة اخلاقية سواء أكان هذا الكلام شعرا أم نثرا .

والثاني الادب بمعناه العام وهو الانتاج العقلي الذي يصور في الكلام ويكتب في الكتب .

ولعل هذا ما اوضحه الفيلسوف اليوناني ارسطو وذلك بجعله المحاكاة: الخاصة المميزة للفنون الجميلة .. وهو يجعل هذه الصفة على وجه التخصيص الفارق المميز بين الادب بمعناه الخاص وبين الانواع الاخرى من الكلام « الادب بمعناه العام » .

جامعة دمشق : مازن الوعر

أغاني القيثارة الخضراء

سليمان عواد

ـ ١ ـ

القمر يشرق منذ آلاف السنين
فكم شاهد من اناس ، وخبر من حضارات
كم خبأ في صدره ، من أسرار ، عبر ٠٠٠
القمر يشرق
دون أن يعلم شيئا عن مبتداه ، ومصيره
كالدهر نفسه ، لا يعرف من اين اتى
ولا أين ينتهي !!٠٠٠

ـ ٢ ـ

أنا ، وجه العالم المغبر
وضميره المثقل بالنبل والبراءة
أنا ، قارة العقل ، الفلسفة ، وصحاريها اللاهبة
في غباري تتشح الليالي بطعم الرماد
وفي رملي المحترق بالشمس
تموت ألف صيحة للنهار

ـ ٣ ـ

الموسيقى الجريحة ، تميت قلبي
تفتت روحي دموعا ٠٠٠
يا إلهي ٠٠ لم خلقتني عاطفيا هكذا
وتعيسا ، شقيا ، هكذا ؟؟٠٠
الموسيقى الجريحة تبعث في نفسي
عالما من الذكريات الحلوة ، القديمة
عالما من الاحلام ، في ارض سعيدة
تعيش اسطورة ٠٠٠ في مخيلتي ٠٠٠

ـ ٤ ـ

التسرع ٠٠٠ بركان متأجج في قلبي
يحرمني نعمة الهدوء
يكويني بألف جمرة نار ٠٠٠
التسرع ٠٠٠ جناح شيطاني
يطير ، بي ، متهورا ، مجنونا ٠٠٠
آه ٠٠ كم اتمنى لو أصلبه
لو أروي هدوئي النفسي ، بدمه !!٠٠٠

ـ ٥ ـ

لو لم تكن الشجاعة ميزة الليث وفضيلته
أكان ملك الغابة
أكان رمزا لسائر الشعوب ، أو لمعظمها
حين تضع صورته المهيبة فوق اعلامها ٠٠٠
احييك ٠٠٠ يا ملك الغابة
يا رمز الشجاعة في العالم !!٠٠٠

ـ ٦ ـ

الشمس فوق رأسي تشع بأنوار غريبة
كعين حيوان اسطوري ٠٠٠ كعين شيطان
المدينة تغرق في بحر الشهوات ٠٠٠
وأنا بلبل يغني بمرارة
ويمزق قلبه بأحلام زرقاء بعيدة
بأحلام ٠٠٠ عن وردة الغابات المذهبة !!٠٠٠

ـ ٧ ـ

حين تغرق الشمس وراء الامواج
وتطلع النجوم حزينة في موكب المساء
ترى ، أليست النجوم دموعا
دموع الشمس التي فارقت الدنيا
وغرقت في لجة المجهول ٠٠٠

ـ ٨ ـ

اذا جادت علينا الحياة
بفسحة من الوقت مزهرة
فما هذه الفسحة سوى لحن سار فريد
في اوتار قيثارتنا ، المغطى معظمها بالجليد ٠٠
الحياة مدفأة شيطانية كبيرة
نلقمها اعصابنا ، نطعمها كد أيدينا
لنحترق ، نذوب ، نصبح رمادا
رمادا ، في هذه المدفأة الابدية الجائعة !!٠٠٠

كوخان لي .. في ليل عينيها ☆

شعر : محمود محمد كلزي

يا لون عينيها

يا أيامي ··

يا لون آمالي وأحلامي ··

كم لي بأفيائهما غفوة !··

أصوغ فيها بعض اوهامي ··

كمْ لي على دربهما سرحة !··

مظلمة جهمه ··

تجتاحها العتمه ··

تسرق أنواري ··

أمخر في بحرها زورقا ··

أغرق في موجهما الطامي ··

يا سر ·· يا أعمق أسراري ··

في أي ليل بهيم ؟··

في أي أغـــوار ؟··

حطمت كل النجوم ··

أطفأت مصباحي ··

في أي صمت مقيم ؟··

خنقت ايضاحي ··

★★★

يا لون عينيها ··

يا مبهم ·· لم أدر ما سره ··

ما لونه المستغلق الحائر ··

أضيع في الظلمات ·· في رحلة ··

ليس لها آخر ··

اضيع في مداهما ·· هائما ··

كأنني طائر ··

من قال أني مرهق فيهما ··

من قال أني فيهما عابر ··

★★★

يا لون ·· يا اسود ··

يا لون أيامي ·

ماذا يقول . ند ؟··

ماذا ··· واني قلق مسهد ··

يا ليل هوم ·· انني ساهر ··

كوخان لي ·· في ليل عينيها ··

يرتاح في ظلهما الشاعر ··

فكم باعماقهما يرقد ··

وكم يتيه النجم و الفرقد !···

شكسبير والنقاد

بقلم محمد صالح الملوحي

لا يمكننا أن نتصور حالة الادب والفن لو لم يظهر وليم شكسبير على الساحة الادبية ، فلقد أضاف هذا الفنان العبقري الكبير الى التراث الفني الانساني آثارا فنية خالدة لا تزال تحتل مكان الصدارة بين الآثار الفنيـة العالمية ولا تزال تستحوذ على مشاعر واحاسيس الجماهير المثقفة في عالمنا المتحضر ، ولا زالت اعماله موضوع دراسات وبحوث نقدية لا يمكن حصرها وعدها • والحديث عن شكسبير حديث يطول إذ مهما تحدثنا عن هذه العبقرية الفذة لا نستطيع أن نوفيها حقها من الثناء والتقدير • وكل ما سنتحدث به عن شكسبير وعظمته سبقنا اليه الناقدون والادباء الذين عاصروا شكسبير والذين جاؤوا بعده • ان مكتبات العالم زاخرة بآلاف الكتب التي تتحدث عن شكسبير الانسان وشكسبير الفنان • والذي آراه هنا هو أن عظمة هذا الفنان تبرز بشكل جلي في تلك الروح العظيمة والخيال الواسع المتقد والذوق الفني الشامخ والقدرة الهائلة على الخلق المستمر • لقد كان شكسبير غزير الانتاج ويتمثل هذا في أكثر من أربعين عملا مسرحيا ناجحا بالاضافة الى اعمال شعرية رائعة • لقد قال عنه شاعر فرنسي : (لا يوجد فنان يساوي شكسبير في المقدرة على الابداع سوى خالق شكسبير) • وكم نأسف عندما نجد اديبا مسرحيا ذائع الصيت كجورج برناردشو يهزأ من شكسبير ويحط من قدره ومكانته في حين كان الاجدر به أن يحترمه وذلك لما قدمه للتراث الفني الانساني من عطاء سخي وزاخر لا يساويه أي عطاء •

واعتقد اننا بحاجة الى دراسات النقاد كي تساعدنا على فهم واستيعاب شكسبير بشكل كامل وصحيح ، ومهما قيل في هذه الدراسات من أنها تشكل عائقا أمام القارىء العادي او دارس الادب في ادراكه المباشر لاعمال هذا الشاعر العظيم او انها قاصرة عن تقديم صورة صادقة عنها فانها تظل ذات قيمة كبيرة ومرجعا هاما نرجع اليه كلما واجهتنا صعوبات أثناء قراءتنا لهذا الادب • لا شك أن هذا النقد الشكسبيري ، اذا جاز لنا هذا التعبير ، ينير الطريق لنا ويزيد من معرفتنا وتمتعنا بشكسبير ، يقول الناقد الانكليزي المعاصر ت• س• اليوت : (عندما يكون لدينا شاعر عظيم كشكسبير فاننا لا نستطيع أن نحكم حكما صحيحا على عظمته بدون مساعدة • اننا نحتاج الى آراء الشعراء الآخرين فيه والى آراء الناقدين الذين ليسوا بشعراء ليساعدونا في ذلك) •

وسأحاول هنا أن أستعرض آراء النقاد في شكسبير خلال هذه القرون الزمنية مقتصرا فقط على استعراض آراء النقاد الانكليز مع أن هناك نقدا جيدا ظهر في كل من فرنسة والمانية وهو جدير بالدراسة والاهتمام • ويؤلف هذا النقد الشكسبيري خلال هذه السنين الطويلة سلسلة مرتبطة ببعضها البعض بدون انفصام او انفصال ، اذ انه لا يمكننا أن نقتصر على النقد الحديث ونهمل النقد القديم لان الاثنين يشكلان كلا متكاملا • فعلى الرغم من أن « ويلسون نايت » وهو ناقد انكليزي معاصر قد أضاف الى آراء الناقد « برادلي » الذي أتى قبله يظل « برادلي » جديرا بالدراسة ، ورغم ان « برادلي » ذاته كان قد نهج منهج « كولردج » في نقده لشخصيات شكسبير تظل قراءة « كولردج » ضرورية لانها تكشف لنا أمورا جديدة لا تكشفها لنا قراءتنا لـ « برادلي » •

وملاحظة هامة لا بد أن أشير اليها هنا هي انه لا يمكن فهم اعمال شكسبير حتى ولو اتصف بعضها بالشمولية العالمية والانسانية وتجردت عن قيود الزمان والمكان بدون أن نلم على الاقل الماما بسيطا بأعمال معاصريه امثال « كريستوفر مارلو » و « سبنسر » وآرائهم فيه وأن نعرف العصر الذي عاش فيه ولهذا وجب أن يكون لدينا فكرة عن الاساس الفكري والاجتماعي والسياسي والديني للعصر الاليزابيتي اذا شئنا فهم شكسبير فهما واضحا وتاما •

يسمق « بن جونسون » وهو أديب مسرحي مشهور في

العصر الاليزبيتي بشكسبير الى الذروة ويعتبره ليس فقط أعظم من « تشوسر » و سبنسر « بل اعظم من الفنـــانين اليونانيين والرومانيين ، انه برأيــه (روح العصر) و (فنان لجميع العصور) و (نجـم الشعراء) ، غير ان » بن جونسون « كان كثير الشكوى من اسلوب شكسبير ولغته· كان أشد ما يثير غضبه ومقته تلك اللغة المنمقة والطنــانة التي كان شكسبير يستخدمها احيانا ، وذلك الاسلوب الذي لم يلتزم بالاصول الفنية التي أوجدها الكلاسيكيون للمسرح والتي كان » بن جونسون « يحترمها الى ابعد حد ·

وبعد استعادة الملكية في انكلترة سنة ١٦٦٠ بعودة شارل الثاني الى العرش الانكليزي قام « دريدان » بتعديل بعض من مسرحيات شكسبير لتتلاءم مع الذوق الفني للمجتمع الجديد ، ونرى أن نقد شكسبير اشتد قساوة وعنفا وشرع الناقدون يشيرون الى ما اتفقوا على تسميته بالبربريـة في أعماله وانها لا تناسب الذوق الرفيع والاحساس الرهيف للطبقات الارستقراطية التي احتكرت المسرح في ذلك الوقت· غير أن « درايدن » لم يغمض عينيه على حسنات شكسبير فكتب يقول : (ان شكسبير يمتلك روحا عظيمة قل أن نجد مثيلا لها عند الشعراء المعاصرين والقدماء· لقد كانت جميع صور الطبيعة في متناول يده وكان يرسمها بدون اي عناء ، وعندما كان يصف شيئا ما لنا ، فاننا نحس به بالاضافة الى رؤيتنا له · ان اولئك الذين اتهموه بانه يحتاج الى ثقـافة فقد امتدحوه جدا · لقد كان شكسبير مثقفا من الطبيعـة · انه لم يحتج الى صفحات الكتب كي يعرف الطبيعة بل كان ينظر الى اعماق النفس الانسانية ويجدها هناك · غير اني لا أستطيع أن أقول بانه متساو في كل مكان · اذ كثيرا ما يبدو مملا ومبتذلا ··· وكثيرا ما كان يستعمل الالفـاظ الطنانة . غير انه لم يكن إلا عظيما عندما تواتيه مناسبة عظيمة) ·

ونعجب كيف أن « درايدن » ينتقد استعمال شكسبير للكلام الطنان في حين كان هو نفسه يستعمل مثل هــذا الكلام في مسرحياته الملحمية والبطولية · كان أحرى بــه أن ينتقده في اعماله للاحداث الثلاث التي كان هو يلتزم بها التزاما صارما ·

أما « توماس رايمر » وهو معاصر ل « درايدن » فقد اتهم شكسبير بالجهل التام بكتاب « الشعر » لارسطو والذي يتضمن الاصول المسرحية المتبعة في بناء التراجيديا · كان « رايمر » يريد من شكسبير أن يلتزم بالقواعد الكلاسيكية التي جاء بها ارسطو والتي كان خــالق المسرح الفرنسي « بيير كورني » قد التزم بها ، ويعتبر هذا الناقد في كتابه « لمحة عن التراجيديا » سنة ١٦٩٢ أن مسرحية « عطيل » هي مجرد مهزلة دموية وأن طريقة شكسبير في رسم شخصية « آياغو » كانت خاطئة ورديئة وان الزواج الحاصل بـين « عطيل » و « ديدمونة » لا يستند على شيء من الصـــدق والمعقولية ، كما لم ينس « رايمر » أن يهزأ بشدة من لغة المسرحية ويصفها بالبذاءة والطنين ·

ويعجب الناقد « دنيس » بشكسبير كثيرا · ويتضح ذلك من خلال كتابه « عبقرية واعمال شكسبير » سنة ١٧١١ اذ يمتدح هذا الناقد طريقة شكسبير النــــاجحة في رسم الشخصيات وفي صياغة الشعر · غير أنه يأسف بشدة لاهمال شكسبير للعدالة الخيالية في اعماله — أي عقاب الفاسد وجزاء الصالح — وجهله بقواعد المسرح واصوله الارسططالية ·

أما « الكسندر بوب » شاعر عصر العقل في انكلترة فقد أعلن مرة ان : « الطبيعة تتحدث من خــلال شكسبير » وأشار الى أن عيوب هذا الشاعر تعود الى حد كبير الى الذوق الفني الرديء للنظارة والى كون شكسبير ممثلا مسرحيا · غير أن « بون » يضيف : (توجد متعة جمالية اكبر بكثــير في أعمال عبقرية عظيمة تجهل بأصول الفن من تلك التـي توجد في أعمال عبقرية صغيرة تعلم بتلك الاصول) ·

وتعتبر مقدمة « صموئيل جونسون » عن شكسبير التي نشرها سنة ١٧٦٥ ذروة النقد الشكسبيري في القرن الثامن عشر · وقد كان جونسون قد تحدث عن شكسبير في اماكن اخرى عديدة من خلال مقالاته في صحيفته « الجوال » · وكما نهج معاصروه حاول جونسون القاء الضوء على حسنات وسيئات هذا الفنان الاصيل · واعتبر جونسون أن شكسبير عملاق الفن الانساني ، ولا يستطيع أحد أيا كان أن يصل الى قمم عظمته الشامخة · كان يرى أن شكسبير يتميز في

فنه بالعالمية والانسانية، فشخصياته تجسد الصفات الاساسية للطبيعة الانسانية في كل زمان ومكان · وقد نقض بشدة اتهامات كل من « فولتير » و « رايمر » بان شخصيات شكسبير تفتقد الذوق واللياقة والاحتشام · فقد كان فولتير قد اعترض على تقديم « كلوديوس » في « هملت » بشخصية السكير ، وكان « رايمر » قد وصف شخصيات شكسبير الرومانية بانها ليست رومانية على الاطلاق · ولا ننسى ان نلاحظ ان السيدة « مونتاغو » في مقال لها عن شكسبير قامت بدحض اتهامات فولتير ·

غير أن جونسون يمتدح مزج شكسبير للعنصرين المأساوي والكوميدي واهماله للوحدات الثلاث · وقد اوضح جونسون أن مثل هذا المزج لا يفسد التأثير العاطفي للعمل الدرامي على النظارة بل يضفي على هذا العمل شيئا من التنويع والتشويق وأشار الى ان شكسبير التزم بوحدة العمل المسرحي وأهمل وحدتي الزمان والمكان · ويقول جونسون معللا : (ان وحدتي الزمان والمكان ليستا ضروريتين في المسرحية الجيدة ··· ومع انهما أحيانا تكونان مصدرا للمتعة الا انه يجب التضحية بهما في سبيل الحصول على ذلك الجمال الذي ينشىء عن التنويع ···) ويضيف الى مقاله السابق : (ان النظارة يعرفون ان خشبة المسرح ليست حقيقية في الفصل الاول وحتى الفصل الاخير ، ويعرفون أن الممثلين ما هم الا ممثلون · اذن اين هو السخف من جعل المكان مرة صقلية وتارة اخرى أثينا طالما أن النظارة يعرفون منذ البداية ان هذا المكان ليس بصقلية وذاك ليس بأثينا بل أن ما أمامهم ليس الا مسرحا حديثا) ·

ثم يأتي الرومانسيون أمثال « دوكونسي » و «لامب» و « هزلت » و « كيتس » و « كولردج » ليعبروا عن آرائهم النقدية في شكسبير · وقد كتب « دوكونسي » و « لامب » دراسات جيدة عن شكسبير ، كما أن « كيتس » عبر بصدق في العديد من رسائله عن التأثير العميق الذي أثر به شكسبير عليه · واذا ما عدنا الى هذه الرسائل وجدنا انها تحتوي على كثير من الملاحظات الهامة والقيمة عن شكسبير ، وقد قام « هزلت » بدراسة هامة لمسرحيتي « مكبث » و الليلة الثانية عشر « الا ا ن افكاره السياسية ، كما أشار كينث موير ، أفسدت هذه الدراسة وخاصة في دراسته لمسرحية « هنري الخامس » · أما « كولردج » فقد ركز في نقده على بعض المقاطع الهامة عند شكسبير ودرس الصياغة الشعرية لشكسبير وحلل بعضا من شخصياته · وهذه الدراسات نجدها في « محاضرات عن شكسبير » و « حديث الطاولة » وفي فصل من فصول كتابه « السيرة الادبية » ·

اما في هذا القرن فان كتاب « برادلي »: « التراجيديا الشكسبيرية » يعتبر بحق ذروة ما وصل اليه النقد الشكسبيري حتى الآن · وقد اقتصرت دراسة « برادلي » على شخصيات أربعة خالدة هي هملت ولير ومكبث وعطيل وقد نهج « برادلي » في تحليله لهذه الشخصيات منهج « كولردج » ·

ولا يسمح لنا ضيق المكان أن نعدد جميع الدراسات النقدية التي ظهرت في هذا القرن اذ انها غزيرة جدا · إلا أننا نذكر دراسة قام بها ناقد معاصر مشهور يدعى « ويلسون نايت » اذ حلل هذا الناقد الرمزية الشعرية في أعمال شكسبير وحاول تفسير المسرحيات جميعها بربطها ببعضها البعض وباخضاع الشخصية للدلالة الشعرية · ويظهر من خلال الاثنتي عشرة مقالة التي كتبها « نايت » تأثير « برادلي » عليه · كما اننا نذكر « تيليارد » وكتابه « مسرحيات شكسبير التاريخية » سنة ١٩٤٤ وفيه درس فكرة اليزابيثين عن التاريخ واستخدام شكسبير لها في مسرحياته التاريخية و « كارولين سبرجيون » ودراستها عن وظيفة الصور الشعرية في مسرحيات شكسبير ·

ومع كل ما سبق ذكره حول شكسبير واعماله نجد ناقدا انكليزيا معاصرا يعلن بكل صراحة : (ان النقاد لا زالوا يجهلون الكثير عن شكسبير · ان معرفتنا بهذا الفنان غير كاملة · وعلى الرغم من الجهود النقدية التي بذلت حتى الآن توجد كثير من الامور بحاجة الى دراسة عميقة · اننا نحتاج الى كتب حديثة تدرس بشكل كامل معاصري شكسبير والى كتاب جيد يدرس طريقة شكسبير في معالجته لمصادره) ·

محمد صالح الملوحي

اجنحة في غيهب القدر

محمد حسن منجد

صحوت عفو الهوى من سكرة العمر ... لا الوجد خمري ولا جرح النوى وتري
ولا ندامـــاي أحـــلام مجنحـــة ... نديتهـــا بدموع الســـهد والسهر
أنا الذي لم أدع للحب صومعـــة ... الا نقشت عـــلى محرابها ســـوري
وما عبرت صحـــارى الوجد محترقا ... الا تطـــاير من كثبانهـــا شرري
وكم أثرت من الاشـــواق زوبعـــة ... صيفية السحب لم يهطل بها مطري
وفي كهوف ظلامي كـــم ضفرت لـــه ... جدائل النـــور اكليلا مـــن الصور
وطوقت أحرفي جيد الجمـــال بمـــا ... نضدته من لآلىء السحر في السحر
ولملمت أنملي دمـــع النجوم فمـــا ... من دمعـــة هطلت الا عـــلى درري
حتى وصـــلت الى بيداء موحشـــة ... الا من اليأس ظـــلا يقتفي أثري
أنى رحلت عيون الغدر ترصـــدني ... وحيثما كنت ضاق الكون في نظري
ضيعت فجر شبـــابي في تـــألقـــه ... أرنو الى الزهر بين الشـــوك والحجر
فأحسد الشوك في سري ويدفعنـــي ... حمقي لأقتلع الاحجـــار بالظفر
وقد أعـــود الى نفسي أعـــاتبها ... وهنا وأصلب احســـاسي على الفكر
موزع القلب لم أظفر بمؤنســـة ... يوما تسائل دفء الحرف عن خبري
كأنني ما عزفت الشـــوق أغنية ... عـــذراء رنحت الأنسام من ســـكر
وما أسلت شجوني نهر قـــافية ... ينساب عاطفة في روضـــي العطـــر
وما نشرت على الشطآن أشرعـــة ... مزقت آخرهـــا في وحشـــة الجزر
وجئت بالشيب والاخفاق يحملنـــي ... موج الندامـــة في دوامـــة السفر
تفتات من جلدي أشبـــاح ذاكرتي ... وترتوي من دمائي فضلـــة العمر
لكنني ضقت بالايـــام أقطعهـــا ... لا الوجد خمري ولا جرح النوى وتري
فعدت أنسج تحت الليـــل اجنحـــة ... غـــداً سأطلقهـــا في غيهب القـــدر

محمد حسن منجد

حماة

البحث الموضوعي والبحث الانفعالي

سهيل عثمان

أعتقد أنني صاحب الحق الاول في مناقشة مراجعة الدكتورة نجاح العطار لعدد المعرفة الخاص بطه حسين ، والسبب في ذلك أن مقالتي (طه حسين رائدا وظاهرة) تعرضت لاشد هجوم من المراجعة فكانت كالتلميذ الذي كرهته معلمته هو يرى بأم عينه تلك المعلمة تشجع زملاءه وتشكرهم وان خالفتهم في آرائهم وان خطأتهم وأما هو فكلما التفتت اليه أنبته وزجرته ولم تشكره حتى على مجرد وجوده في المدرسة بدلا من الشارع . نعم فجميع المقالات استحقت شيئا من الشكر ولو عابرا الا مقالتي فلم يكن نصيبها الا الحملة الشعواء والسخرية المرة وكأنها أصبحت في نظر المراجعة عفريتا مخيفا فهي تذكرها بالسوء قبل حلول دورها اذ بدأت الهجوم عليها منذ المقدمة (١) . واذا كنت أستطيع التجاوز عن حقوقي الشخصية فابتسم للسخرية مع المبتسمين وأشكر المراجعة وان لم أحظ منها بأي شكر ،أشكرها على الاقل لانها لم تصل صراحة الى النتيجة الطبيعية لموقفها وهي لوم المعرفة على نشر مقالتي «المضنية» فانني على كل حال لا أستطيع التجاوز عن حقوق الحقيقة العلمية لانها أسمى من الحقوق الشخصية . وقد ظلمت الحقيقة في المراجعة كثيرا حتى أن من يقرأ المراجعة مصادفة دون أن يقرأ المقالة تتكون عن المقالة في ذهنه صورة مخالفة لجوهرها وكأنها صورة مقالة أخرى غايتها اغماط حقوق طه حسين والتشهير به وتجاهل المرحلة التي تكون ونشط فيها ..

ومن أول ما يسترعي النظر في المراجعة انها اتهمت المقالة بالانطلاق من مصادرة غير مبرهنة وهي المزج الحضاري عند طه مع انها خالية من أية مصادرة غير مبرهنة ومع انها لا تدلي برأي الا وتبرهن عليه وتحشد الادلة عليه من حياة طه حسين أو من فكره ، وما اعتبرته المراجعة سردا في المقالة انما هو حشد البراهين الواقعية على كل صفة نسبت في المقالة الى طه حسين لتأتي الاحكام موثقة ولتتجنب المقالة الاسلوب الانفعالي المندفع الذي أوقع المراجعة في العديد من المصادرات وصل بعضها الى حد العجائب والغرائب أمليت على القارىء بلجة يقينية قاطعة وكأنها منزلة ، واليك الامثلة .

المصادرة الاولى التي وقعت فيها المراجعة انها اعتبرت المزج الحضاري عند طه حسين مصادرة غير مبرهنة (٢) ..

مع أن المقالة عددت الادلة على هذه الخاصة من آرائه في الدين واللغة والانظمة السياسية ومنهجه في البحث وأسلوب حياته ، وأشارت في هذا السبيل الى كتبه المختلفة التي يصرح فيها بآرائه المازجة وتبدو فيها فنونه الادبية المقتبسة ولم يكن طه حسين نفسه خجلا من هذه الحقيقة أو مخفيا فهو يصرح بما يأخذ ومن أين يأخذه فقد أورد في مقدمة كتا بجنة الشوك مثلا أن الفن الذي اعتمده في هذا الكتاب موجود منذ أيام الرومان ولا يكتم أخذه بمناهج الباحثين الاوروبيين ، وان النص الذي أوردته المراجعة في ص(٦٢) يشهد باعترافه بالمزج فقد جاء فيه :

«فنحن حين .. نستعير النظم الديمقراطية من أوروبا انما نسعى الى شيء واحد هو تحقيق المساواة..» .

وما حديث المراجعة عند مناقشة بعض المقالات الاخرى عن مدى تأثره بدور دوكهايم وديكارت الا اقرار بالمزج الحضاري لديه فلماذا تحرم المراجعة سواها من حق اعلان رأي أخذت به عن قصد أو غير قصد (٣)؟

وأما المصادرة الثانية التي قامت عليها المراجعة فهي اعتبارها المزج الحضاري عند طه حسين وصمة أرادت المقالة أن تجرح عن طريقها طه حسين وأن تمحو أثره الفكري مع أن المزج الحضاري عومل في المقالة معاملة قامت على الاحترام والتفهم لدوره الايجابي وضرورته الدائمة للتفاعل الحضاري وبشكل خاص في فترات النهوض الحضاري ونسبته الى سوانا كما نسبته الى حضارتنا وجعلته من طبيعة الاشياء !

« ان العمل على المزج الحضاري مألوف في تاريخنا الفكري ، فليس طه حسين ظاهرة شاذة اذا ماتذكرنا الفارابي وابن سينا وابن رشد واخوان الصفاء ولا يشذ الغزالي نفسه عن هذا التيار ... ولعله واضح في تاريخ سوانا ، ولعله من طبيعة الاشياء (١)» .

ومن أجله شبهت طه حسين بعظمائنا السابقين . وهل من المعقول أن أعد المزج الحضاري خروجا على المنهج السليم مع انني اتبعته في مقالتي فما تطبيق نظريات أدلر ومدرسة علم الطباع الفرنسية على طه حسين الا نوع من المزج الحضاري لجأت اليه توخيا للفائدة الثقافية ، ثم ان المراجعة ذاتها وأكثر المقالات تضمنت هذا المزج الحضاري فهل أخذت الحديث عن الفلسفة الجلية والاشتراكية العلمية والمنهج الشكي من تراثنا وحده ؟ ان اسقاط المراجعة سوء النية على المقالة في هذا الصدد ظلم للمقالة ظلم الحسن والحسين — كما تقول الامثال — لان المزج الحضاري لم يمنع المقالة من تسمية طه حسين رائدا ومن ذكر الفوائد التي جنتها الامة من آثاره وكان حديثها عن التفاعل لا عن مجرد التقليد فدأبت على ذكر اهتمامه بتراث قومه في مختلف الميادين واهتمامه أيضا بشؤون حاضرهم .

ان المزج الحضاري واقع وليس ادانة انه واقع يتجلى في أخذنا علوم الحياة والنفس وطبقات الارض والذرة الحديثة .. والعمل على الملائمة بينها وبيننا كما يتجلى في مناقشاتنا حول الكلاسيكية والرومانتيكية والرمزية والسريالية .. بل هو واضح صارخ في أدويتنا والبستنا وأطعمتنا وهو واقع مفيد ما دام منتبها الى الطرفين المتمازجين وقد أكدت اهتمام طه حسين بالطرفين ونفيت عنه تهمة الجمود الذي يحارب التفاعل وتهمة الفرنجة التي تذيب شخصية الامة :

«ومع أن الساحة لم تخل يوما من دعاة التمسك بالمأثور عن الاجداد وحده ، ولم تخل من دعاة نبذ كل التراث واقتباس كل مقومات الحياة الجديدة من الغرب فان المجرى الاساسي أخذ يمتلىء بأنصار الجمع بين الجانبين (٢)... فصاحبنا يؤكد ان على المجتمع الناهض ان يتمسك بشخصيته الخاصة التي لاتتعارض مع التقدم فالتمسك بها يريحه داخليا ويجعله أكثر انسجاما مع ذاته» (٣) .

وثالثة الاثافي هي المصادرة التي يبدو أنها قد أثبتت في المراجعة أثناء غياب تام عن المقالة فهي تتهم المقالة بعدم ملاحظة المرحلة التاريخية التي عاش فيها طه حسين وعمل مع أن الانتباه الى هذه المرحلة يستلفت نظر كل من يقرأها ومن العجيب ألا تعثر المراجعة على الحديث عن وضع الامة العربية في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي وتطلعها الى النهوض والرواد الذين أنجبتهم في مختلف الميادين مع ذكر الاسماء ومقام طه حسين وأدبه الواسع بينهم والمقارنة بين دوره ودور سواه ثم الحديث في أواخر المقالة عما بقي من أفكاره متحققا وعما سارت الامة في طريق مخالفة له ، وقد ذكرت المقالة أنه من مطوري الامة في مرحلة تنويرها واذا كان عيب المقالة استخدام كلمة (التطور) لا كلمة (التحديث) فلسنا في خلاف حول الازياء في الالفاظ . وهذه نصوص من المقالة نفسها أضطر الى ايرادها كنماذج على الاهتمام بالمرحلة وان أضنت العجلين والعجلات ...

«وهنا لابد لنا من تذكر أوضاع مصر والبلاد العربية بعامة في أواخر القرن ... فأخذت تحس الحاجة الى تطوير الاسس التي تقوم عليها حياتها كليا أو جزئيا .. وتحرك الركب ببطء وحذر بحيث كان بحاجة الى من يكشفون له الطريق ويشجعونه، وتوالى ظهور هؤلاء الرواد ...(١)..

«من مثال أحمد عرابي ومصطفى كامل ومحمد عبده وسيد درويش وطلعت حرب .. والعقاد والمازني وطه حسين .. وأعتقد أن طه حسين كان ـ والمقارنة مع رواد الادب فقط ـ أبعدهم أثرا على جمهور المتأدبين والقراء» (٢) ... «ويبقى الرجل معلما من معلمي أمته البارزين في مرحلة تنويرها » (٣) .

ويصل الامر الى حد العجائب والغرائب حين تؤكد المراجعة خلو المقالة من البحث في بيئة طه حسين وأثرها عليه مع أن القارىء العابر الذي يكتفي بالقفز فوق بعض الصفحات لا فوق أغلبها يكتشف المعالجة الدقيقة الاستقرائية الصبور لبيئة طه حسين بل لبيئاته ابتداء بأسرته وكتابه وقريته والازهر الى الجامعات والعوالم العربية والاسلامية والاوروبية ، وتمشيا مع لغة الارقام التي اتبعتها المراجعة حين ذكرت أن عدد صفحات المقالة ٢٦ صفحة أقول بأن بحث البيئة قد استغرق عدة صفحات من الصفحة ٤٥ الى ٥٠ عدا ما اقتضت الضرورة وروده في صفحات أخرى فجدير بالانسان أن يتمعن حين يقرأ وأن يتمعن أكثر حين يطلق حكما على ماقرأ ويدفعه الى المطبعة لان الطبع سيظل ماثلا ومسجلا عليه في حقيقته وفي دلالته الى الابد .

وتستمر المراجعة في خضوعها للنهج الانفعالي الذي توجهه عين الرضا أو عين السخط عين الرضا عن طه حسين نتيجة للاندفاع في الاعجاب به وعين السخط على هذه المقالة التي تجاوزت الهالات العاطفية الى المنهج الموضوعي القائم على ايراد الوقائع بكل دقة واستخلاص التفسيرات لهذه الوقائع اعتمادا عليها ، فقد سخطت المراجعة لان المقالة قد تعرضت لسياسة طه بلا حرج فذكرت تلكؤه في الخروج من الدائرة الاقليمية الى الدائرة القومية واقترحت بعض التفسيرات لهذا التلكؤ تجنبت فيها صراحة اتهامه بالعمالة:

«ونجيب بأن مانعرفه عن طبع الرجل واخلاقه يأبى علينا أن نصدق بأنه كان يرضى لنفسه أن يكون عميلا أو أداة في يد سياسة أجنبية» (٤) .

وكان من حق المراجعة أن تضيف الى هذه التفسيرات ماتراه جديرا باتمامها أو أن تخالفها جميعا وتقترح سواها ولكنها آثرت طريقة أخرى لا تؤدي الى تحريك الفكر بل الى منعه من تناول هذا الموضوع باسم انتهاء وقته أو عدم أهميته وهذا الاسلوب يسمى في المنطق بالمغالطة الخارجية وليست هذه التسمية مشاركة مني في الردح بل هي التسمية التي تطلق في كتب المنطق على محاولة تسفيه الرأي لا بتنفيذه من حيث الخطأ والصواب بل باثارة النفور والازدراء والاستتفاه له حتى ينصرف الناس عنه ، وان أزمة المراجعة هنا تكمن في انها عاجزة عن انكار الواقعة لانها مثبتة في كثير من مطبوعات طه حسين ومنها كتاب مستقبل الثقافة في مصر التي تكثر المراجعة من الاستشهاد به واذن فخير طريق يسلكه المعجبون العاطفيون هو منع تذكير الناس بها والتذرع لذلك بمختلف الذرائع . وقد لا يقل اعجاب كاتب المقالة بطه حسين عن اعجاب كاتبة المراجعة الا انه ضابط لعواطفه اتباعا لقواعد المنهج الموضوعي التي تجعل الحق فوق أي اعتبار آخر ، فمن الحق أن طه حسين قد تلكأ في الخروج الى الدائرة القومية ولم يكن في هذا الميدان رائدا كما كان معاصرا ساطع الحصري (٢) وزكي الارسوزي وان التساؤل عن أسباب هذه الظاهرة حي في أذهان المثقفين الذين عرفوا المعاناة الحقيقية للثقافة السياسية وتتبعوها فكرا ومارسوها عملا وسيظل هذا السؤال محل بحث طالما وجد في أمتنا معانون يرتفعون في نظرتهم الفكرية عن دبلوماسية الصالونات وما تفرضه من اخفاء للحقائق أو تفريق بين حقائق يهمس بها همسا وأخرى يصرح بها ، ولو فرضنا أن المقالة تجاهلت السؤال فان المثقفين لن يتجاهلوه وكذلك التاريخ فالقضايا المتعلقة بالعلماء تبقى حية في الاذهان، ومع اهتمامي بالمرحلة كركن من أركان التفسير الا انني لا أعد كلمة المرحلة عصا سحرية تستخدم بشكل غامض كما استخدمت في المراجعة على أمل أن تتوقف الاذهان عن البحث عند سماعها . واذا كانت الغيرة قد أخذت المراجعة على طه حسين فان من حقها أن تكتب بحثا مستوفيا لعوامل مواقفه السياسية وهذا من حق سواها أيضا وبهذه المناسبة فانني اقترح زيادة في الحرص على الحق أن يحتوي البحث على دراسة لحقيقة موقف طه حسين من العدوان الفرنسي على سورية في أيار من عام ١٩٤٥ وأسباب ذلك الموقف .

وحين تصل المراجعة الى تحليل المقالة النفسي لشخصية طه حسين لاتناقشه الا من خلال انطباع عابر وهو

أتعاب القارىء بالنظريات النفسية ومطالبة الكاتب بتوفير معلوماته النفسية لنفسه وتقديم النتائج فقط ، فان كان

هذا الاحتجاج منصبا على الفقرات التي شرحت فيها المقالة النظريات النفسية التي اعتمدتها فان هذا الشرح لم يكن معلولا ولاعد الى طريقة المراجعة الرياضية فاذكرها بأن

عرض ما رأيته ضروريا من نظرية أدلر وتصنيف مدرسة علم الطباع الفرنسية لم يتجاوز في مجموعه الصفحة والنصف فما هي نسبة الصفحة والنصف الى مقالة بلغت

وفقا لحساب المراجعة ٢٦ صفحة · ان ما قدمته المقالة في هذا المجال هوالحد الادنى الضروري لجعل القارىء في الصورة مع الكاتب ولينطلقا في البحث من صعيد واحد ، واما اذا كانت تقصد تطبيق هذه النظريات على طه حسين فان هذا

التطبيق هو المقصود من الدراسة النفسية وبدونه لا تكون المقالة قد حللت نفسية طه حسين واذا وردت اثناء الدراسة طائفة من احداث حياة طه حسين فهي ليست سردا كما حلا للمراجعة أن تسميها بل هي أدلة على الخصائص التي

نسبتها المقالة لنفسية طه حسين وبدونها يبقى البحث مجرد انطباعات وخواطر غير مبرهنة · ومادام الشيء بالشيء يذكر فان المراجعة حين شنت هجوما غير متوقع على مقالتي في مقدمة مراجعتها اتهمني بأنني الوحيد بين كتات مقالات العدد الذي لم يقدم دراسة من اختصاصه فان كانت المراجعة تعرف أن اختصاصي هو الفلسفة فان الدراسة الحضارية والاجتماعية والنفسية التي وقفت عليها مقالتي لا تخرج من دائرة اختصاصي وأما اذا كانت لا تعرف اختصاصي ففي امكان المتبصر أن يكشف عنه من خلال المقالة نفسها

فهل من المحير معرفة اختصاص كاتب يحلل طه حسين اجتماعيا ونفسيا ويختار بين النظريات النفسية المختلفة وبين تصنيفات الطباع المختلفة ، ورحم الله بشارا في كل أوان وفي هذا الآن بشكل خاص !! وأغلب الظن أنني إن أطلت في شرح النظريات النفسية لاستعراض اختصاصي أمام المدقق وغير المدقق لردت المراجعة بكيل الاتهامات بالاضناء والاطالة ولنصحت بتوفير المعلومات أكثر مما فعلت في مقابل الصفحة والنصف مع أن النويهي يمضي شطرا لا بأس به من كتابه عن نفسية أبي نواس في شرح العقد النفسية وأسباب الانحرافات الجنسية ليجعل منها

قاعدة لاحكامه التطبيقية على أبي نواس وكذلك فعل العقاد في كتابه «أبي نواس والعقدة النرجسية» · وبدلا من الحديث عن الاتعاب في عرض المعلومات النفسية أو عدم الاتعاب قد تمنيت أن تناقشني المراجعة في بعض ماتوصلت اليه في آراء كاعتباري شخصية طه أكثر اتزانا من شخصية

الضريرين الآخرين بشار وأبي العلاء وكتفضيلي للتحليل الادلري على الفرويدي وايثاري مدرسة طبيعية على أخرى واعتباري طه حسين من هذا الطبع دون ذاك ، وما زلت آمل أن يقوم الباحثون الجادون بذلك ·

وتريد المراجعة من المقالة المغضوب عليها أن تصل الى النتائج التي ترى المراجعة ذاتها انها قد أصبحت معروفة مثل تجريبية العقائد عند طه حسين وصدقه وثوابته التي

يعود اليها في أبحاثه ، وما دامت هذه قد اصبحت معروفة فلماذا تنذر المقالة لها ؟ أليس من الافضل أن تستخدم كبيانات لاستخلاص حقائق جديدة منها ، والباحث العلمي مهما كان استاذا او فوقيا لا يطلب من الباحثين أن يقفوا عند حدود المعروف ويجتروه كما هو بل أن يتابعوا التقدم نحو غير المعروف ، وقد وردت هذه الخصائص في المقالة فعلا واستفاد منها البحث للتوصل الى الحقائق الجديدة كبعض اركان شخصية طه حسين وكالمزج الحضاري وهو أمر جديد على المراجعة والدليل على جدته ثورتها عليه ··

ان عين السخط التي نظرت بها المراجعة الى المقالة هي ايضا ظاهرة تستحق الدراسة ولن أتعجل الامور ولكنني أجمل الفروق بين منهجي المراجعة والمقالة : يقوم منهج

المراجعة على الانفعالية فما دام طه حسين محلا لعاطفة الاعجاب فيجب ألا يرد في الابحاث ما يتعارض مع صورة مثالية متكونة عنه وهذه العاطفية تبدو في مراجعة جميع

المقالات فقلما تعترف المراجعة بوصف لفكر طه حسين تضعه حيث يضعه جميع المفكرين من قابلية الصواب والخطأ الاخذ والعطاء وتظهر انفعالية منهج المراجعة في هذا الموقف الانطباعي الذي وقفته من المقالات القائم على الاستظراف او عدم الاستظراف فهي لم تستلطف مقالتي

نظرا لطولها في رأيها ونظرا لحشد الوقائع المؤيدة للاحكام ونظرا لموضوعيتها في تناول البطل فصبت عليها جام النقمة·

واما منهج المقالة فقد اطمأن للموضوعية العلمية التي تقضي بتعليق العواطف عند الشروع في البحث ، وان على الباحث ألا يبدأ بأفكار مسبقة عمن يدرس بل أن يترك

الوقائع تتكلم وتسير به الى نتائجها ، وان غاية الدراسات ليست المدح والهجاء وانما الوصول الى الحقيقة بلا زيادة ولا نقصان ، ومن أجل الحقيقة تجري التحليلات الاستقرائية

التي ظنها جمهور القراءة المسلية مضنية ولكن يعرف جمهور القراءة الباحثة أن هدفها يستحق بذل الجهد من قبل كاتبها وقارئها ومناقشها فقد آن الاوان لانتهاء محاربة

الجد والعمق باسم الجفاف والاتعاب وقد صار الشعر نفسه في العصر الحديث ضربا من التفلسف فما بالنا بالدراسات المخصصة أصلا للتنقيب والتدقيق ···؟!

هذا بعض ما رأيت اثباته بمناسبة مراجعة الدكتورة نجاح لمقالتي ولم يبق لدي الآن الا تكرار شكرها فضلا عن ازجائي الى مجلة الثقافة شكرا تستحقه لايقاظها الحوار

الفكري وعسى أن يكثر عشاق البحث وعشاق القراءة الجادة وعشاق المراجعة ايضا ···

أغنية مسافر

كلمات

محمد علي الرباوي

سأسافر

يا حبيبي سأسافر

هيئت محفظتي كي أهجر الحي الكبير

سنة كاملة أو ربما بضع شهور

سأسافر

يا حبيبي سأسافر

كي أجوب الحقل كي أبحث عن أي جديد

في محيا قريتي ، في بسمها السامي المديد

سأسافر

يا حبيبي سأسافر

كي أعيش العمر ما بين نسيمات الازاهر

كي أقول الحب لحنا ساحرا وسط المنابر

آه لو كنت معي يا وحي فني ستسافر

لنرى السحر معا تحضنه كف المزاهر

في روابي قريتي ، في حقلها .. حيث البيادر

بسمة سكرانة فوق محيا كل شاعر

آه لو كنت معي يا زهر عمري ستسافر .

المغرب : **محمد علي الرباوي**

السريالية بين الممارسة والسقوط

عبد الباسط الطويل

ـ السريالية بين الممارسة والسقوط ـ

ان الاغفال المتعمد للواقع العيان وآفاق تطوره يظهر جليا على كل النظريات التي تصدت لمعرفة الواقع الانساني والغوص في أعماقه وطرح الحل الحكيم . وهذا ما طرحها في بحر الغيبة وانزلهـا بعدا عن الحقيقة وانحسارا عن الواقع الموضوعي .

ولعل النظرية « السريالية » احدى هذه النظريات فهي رغم اخذها بالمادية وادعائها العلمية شاردة ايضا الى بحار الميتافيزيقيا .

ـ الا ان هذه النظريات لم تعترف بافلاسها بالواقع وعجزها وانهزامها امام « المادية الجدلية » التي برهن الواقع العلمي استمرارها .. ارتفاعا ، وعمقا ، كعمل معرفي له قوة القانون في الممارسة لا كقانون فقط ، بل اعني شمولية الاستنباط ، والضرورة والتغيير .

ـ اما الجدلية التي آمن بها « السرياليون » ما هي الا مسخ كامل قضى بها الى الانعدام واختفائها امام تيار العلم الذي يضغط بآخر منجزاتـه على البقايا التي يحتفظ بها الفكر التراثي ، والتي يتوهمها بعض المفكرين الاوربيين ليوهموا العالم الثـالث بازلية البقـاء « اللا موضوعي » رغما عن حكم التاريخ عليهم وعلى نظرياتهم بالموت المضطرب السريع .

ـ وليست المادية « الديالتيكية » بشمولهـا التطبيقي على التاريخ والاجتماع وانعكـاس قيمها في اقامة دعائم التغيير في هـذا العالم على ميدان « صراع المتناقضات » وكل وضع اجتماعي يسود فيه مثل هـذا الصراع حتمية لا تنكر .

ولكن تأبى انانية رأس مالهم « السرياليون » عليهم لذة الترف لتغطيهم بسحابة ضبابية تغشى على أبصـارهم فيتخثر فيهم نفس المستقبل ويختفي في المـاضي وهما ، فيبعد الانسان عن ذاته ويسقط تحت جاذبيـة الماضي منكرا واقعه العياني .

ـ بينما « العلميـة » هي اجتياز الانسان بكـل الثقة والعلمية الحاضر وعبوره الى المستقبل . ولكـم هو رائع ان ندخل في اذهاننا كل الوعي ، وان ندخـل عالم الانسان بابتسامة عذبة تنم عن الحكمة العلمية المشبعة بالشجاعة العلمية من الوهم الغيبي والواقفة على أرضية المحبة والصلابة والاحساس بالمسؤولية عن المستقبـل ، لا روعة الماضي عجزية الدهشة وقدسية « الميتافيزيقيا » وازالة الاشياء بل مسؤولية الذات امامها .

ـ وانطلاقا يملك القـدرة على ارتيـاد المجهول ، واستبدال الوهم بواقع علمي متحرر يدفـع الانسان ثقـة بقدرته الذاتية وعبور الحاضر للماضي بحركة يختفي بها الوهم الغيبي ويتوارى عن الانظار المستقبلية، ويسير انساننا رغما عن جبروت الجاذبية في قطع ذائد الى اللا نهايـة . حيث نعيش وجودنا الذي لايمليه غير وعينا الموضـوعي ، ويتلاشى القلق من تراث البشرية ، ويدخل كل شيء مخبر التجربة والبرهان .

ـ ولقد اجتازت « المادية الجدليـة » بنجـاح كل الامتحانات لتغيير منطق التفكـير . حتى تغـيرنا وعبرنا الآفاق الرحبة لكون ، معرفة الواقع «وجودا» يفرضنا بكل الذاتية الانسانية على التاريخ حركة في تغيير مستمر ،لا اعادة الحركة دائريا في قطع ناقص على محـور العوق التـاريخي .

ـ فالفكر هو مصدر الاحساس الرئيسي والاساسي وهو الممون الوحيد للذهن بالتصورات وانمائه بالمعاني . والقوة الذهنية هي القوة المعاكسة للاحساسات المختلفـة الذهن ، فعندما نحس بالشيء نستطيع أن نتصوره أي نأخذ عنه صورة في الواقـع ، لا يمكـن أن تمتد الاحساسات الى المعني ابتداعا وابتكارا بمعزل عن الاشياء ذاتيا كما تدعى «الميتافيزيقيا» وبصورة مستقلة .. «بذاتها ، لذاتها كون كما تدعي «السريالية» .

ـ فعندما تطرح «المادية» تعليـل الادراك البشري تاريخيا تمشيا مع علمية الشعور وانه انعكاس للواقـع الموضوعي ذلك أن كل ادراك يرجع الى انعكاس لواقع معين ويحصل هذا الانعكاس للواقع الموضوعي وما يخرج عـن حدود الانعكاسات الحسية .

أما مدى التجريد فـلا يمكـن أن يتعلق به الادراك أو الفكر فنحن لا نتصور الا احساساتنا التي تشير الى الحقائق الموضوعية القائمـة في العالم الخارجـي والتي يعالجهـا الانسان بدافع من احتياجاته الموضوعية والطبيعية .

اذا فمحتوى شعورنا بها ليس له مصدر سوى عالـم الجزئيات التي يحتويها الواقع الموضوعي محاطة بالظرفية الخارجية التي تعيشها ونعيش بها لتعطي لنا الاحساس وكل ما في الامر يمشي على نفس المنوال .

ـ و ليست من قوة شريرة أو خيرة تستطيع فرض شيء من موقع الاملاء على الارادة الانسانية كما يـدعى « السرياليون » وعلى رأسهم « اندريه بروتون » بعدا وعدم انسجام معرفتهم الكاملة ان مصدر المعرفة تكمل في أعضاء الحس الجسمية في الانسان للعالم المحيط ـبه موضوعيا ، وليس فرضا والتزاما من قوة عليا خارجية عن ارادة انسان فكما قال ماوتسي تونغ .. «:» فالخطوة الاولى من عملية اكتساب المعرفة هي الاتصال الاول بالمحيط الخارجي وهذه مرحلة الاحاسيس في عملية المعرفة ، والخطوة الثانية هي

جمع المعلومات التي نحصل عليها من الادراكات الحسية وتنسيقها وترتيبها ولنربط كل ذلك بالحركة مصدر كل شيء ٠

ــ وهذه مرحلة المفاهيم والاحكام والاستنتاجات وبالحصول على معلومات كافية في الادراكات الحسية لا جزئية أو ناقصة ، وان تكون هذه المعلومات مطابقة للواقع لا مفاهيم مغلوطة ومزورة عن الواقع ٠

عند هذه النقطة يصبح في المستطاع أن نصوغ مفهوما ومنطقين صحيحين ، وليس كما تدعي « الحركة السريانية»

وهما وجزعا من كابوس الحرب الذي أخرجها مفعمة بالتشاؤم واليأس والحياة الانسانية ابعد ماتكون عن

اليأس ٠٠ تحليلا ، وتركيبا ، عمقا ، وشمولا ٠

ــ و لو كان الموت نهاية فليس الا ضرورة في تغيير أحوال المادة ٠

وليس فناء الطاقة علميا سوى عدمية خضوعها لقانون التحول «النمو الاضمحلال والتلاشي» ٠

أما بالنسبة «للسريالية»فضيق افقها وانحسار الامل لمن قيد الحركة واغفل التحرك الانساني يأسا وتكريسا للغيبية ٠

ــ وهكذا يستمر التطبيق الاجتماعي الى تكرار الحركة مرات متضاعفة في تطبيق الناس اشياءهم التي

يحسونها حيث نخلق فيهم انطباعا ، وعندها يحدث تغيير مفاجىء في العقل البشري ويتم معه من خلال هذه العملية

ادخال المعرفة والتصور وممارستها في الواقع ، فينتج عنها مفاهيم وقيم ٠

ــ ونظرية المادية « الدياليكتية » تؤكد أن الطرح النظري لا يمكن أن ينفصل عن التطبيق أي «وحدة النظر

والتطبيق لا كما تهمل السريالية بقصد أو بغير قصد هذه

الفكرة والتي تدخل عموميات الحياة وتشملها حتى الاعماق لتعطي حركة التجديد ٠

ومن المهم اذا أن نفهم معنى وحدة النظرية والتطبيق كعمليتين،فاذا اهملنا النظر نقع في فلسفة الممارسة ونسلك

خبط عشواء ونتخبط في الظلام الغيبيي نعيش الماضي ولا نستطيع التفكير خارج مدار تكرار الصور التي عرفناها

وآمنا بتثبيتها في الواقع متناسين «انه ليس استمرار والده بل غيره» ٠

وأما اذا أخذنا النظرية وأهملنا الممارسة فنقع في

الجمود المذهبي ، ونتحول الى أصحاب دعوة مذهبية لا

أكثر ، نقيم التدليلات العقلية الجوفاء «كالسريالية» ومن سار على ضالتها ٠

ــ وما السريالية الا حركة زئبقية تبحر في مكانتيها الماضية لا اعجابا بالكلمة والقيم التي تعجز عن العمل

سلوكيا ولكنها تقنع عقليا ٠

وبهذا يدل الواقع التجربي على سقوطها مع غيرها من النظريات التي تسير على نفس المنهج دون اي ايماء تجديد ٠

والتجربة هي المقياس الوحيد الذي يجب أن يطبق على كل معرفة وكل نظرية بحيث لاتوجد اية معرفة منفصلة عن التجربة والواقع الموضوعي للانسان وكل دعوة أو نظرية لاتمارس في الواقع تبقى كلاما أجوفا لافائدة منه وقيمة سرابية على أرض الحاجة الموضوعية للانسان الذي يتحرك لاشباع رغباته باعثا وجوده التأملي والوجداني ٠

ــ ونظرية « المعرفة الدياليكتيكية » و « الحركة المادية » تصنع التطبيق في المقام الاول وتشق نضالا ضد النظريات الخاطئة والتي تنكر صحة التطبيق أو تسمح بانفصال المعرفة عن التطبيق ٠

ــ فالعملية في القرن العشرين أصبحت من النضج لدرجة انها لم تعد بحاجة الى فلسفة أخرى توضع فوق

العلوم الوظيفية وتحول دون استمراريتها في التطور وقد عرت العلمية الفلسفة الكلاسيكية ولم يبق منها الا نظرية

الفكر وقوانين المنطق الشكلي ٠

وسوف تكون المهمة الاولى أمام النظرية العلمية والمادية لمعرفة الانسانية على وجه الدقة والتحديد بحيث لاتقطع أبدا الفكر الفلسفي عن الفكر العلمي ولا عن النشاط العملي الانساني ٠

فالتاريخ شرط الرؤية الدياليكتكية للظرف الموضوعي الذي يحتوي الواقعة التي نعيشها ٠ فالظرف

يتبدل بتبديلها متأثرا بها ومؤثرا عليها يعطي ويأخذ باستمرار ٠ والفكر العلمي هو الوحيد القادر على ادراك

وفهم العالم والكشف عن الحقائق الموضوعية ، وامكانية معرفة العالم خلافا للنظريات المثالية والتي تنكر امكانية

معرفة العالم وقوانينه ولا تؤمن بقيمة معارفنا وقدراتنا على التغيير فلا تعترف بالحقيقة الموضوعية وتعتبر أن

العالم مملوء باشياء قائمة بذاتها ولن يتوصل العلم الى معرفتها كما تقول «السريالية» في بعض جوانبها الفلسفية

وتعتبر ايضا أن العالم مملوء بأشياء قائمة «بذاتها لذاتها، واجب الوجود ذاتيا» وتنكر على العلم أن كان الوصول

اليها ومعرفة قوانينها وان معرفتنا لقوانين الطبيعة تلك المعرفة التي يحققها العمل والتجربة والتي هي وحدها

الصحيحة والاساسية غير ذات قيمة أمام تحليل وغيبية العالم «السريالي» والحقيقة أصعب على التصديق عندهم من الخيال ٠

ــ أما المادية العلمية فلا يمكن أن تؤمن بعجز الانسان أمام الحقيقة ، فليس في العالم أشياء لا يمكن معرفتها وانما فيه أشياء لاتزال مجهولة وتستكشف وستصبح

مكشوفة ومعروفة بوسائل العلم • وانما ندركه من العالم والكون هو تماما وبصورة صحيحة ودقيقة نفسه الـذي نضيفه الى وعينا ليصبح الكون مفهوما بالنسبة لنا •

وان سقوط المدارس القديمة «الكلاسيكية» والتي لاتتواءم مع المخترعات والمكتشفات العلمية حتى في ميدان القوانين مثال ذلك «مكينك نيوتون» الذي ضحل بعـد ن ظهر علينا العالم الالماني «انشتاين» بنظرية«نسبية» وعلى

الرغم من التقدم التكنولوجي والتحكم الآلي لم يتوصل الى ـ٥٪ـ من نظرية «انشتايـن» والتجديـد الرياضي بشكل

تطبيقي وعملي • وهي أيضـا اضحلت أمـام المخترعات الجديدة فقد اكتشف عدد من العلماء السوفييت ان هناك شحنات من نوع خاص تتحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء•

فبذلك تتجاوز العلمية «انشتاين» وكمـا سقط نيوتـون أمام«نسبية» وبدأ المقياس الجديدفهو لا يعني ان السقوط بمعنى العدم ولكن يعني «التلاشي الفيزيائي» وان هـذا

التلاشي يعني أن «الحد الذي وصلت اليه معرفتنا بالمـادة يتلاشى وان وعينا ينمو ويتعمق» كما قال «لينين» متمه خاصه للمادة •• كعدم قابيلتها للاحتراق ، وعدم الحركه ، وعدم الكتلة • كانت تبدو لنا من قبل مطلقة ثابته • وهي تتلاشى الآن وقد عرفت بأنها نسبية ملازمة فقط لبعض أحوال المادة وذلـك أن الخاصـة الوحيـدة للمادة الـذي يحددها التسليم بها ، أي أن المادة حقيقة موضوعية وانهـا موجودة خارج وعينا الآن •

ـ وهنا يجيء دور المادية التاريخية في دحض كل النظريات التي تتصدى لفهم التاريخ وتحليله على اساس دياليجتيكي لتنتهي الى نفس النتيجـة التي ترتكز عليهـا العلمية في تفسير الوهم على أساس التاريخ •

أما مسألة ما اذا كان ـالفكر الانساني سينتهي الى حقيقة الموضوعيةليست بمسألةنظريةكماتقول «السريالية» بل أنها مسألة عملية، ذلك انه ينبغيعلى الانسان انيقيم التدليلات في مجال الممارسة على حقيقـة فكرة ما ••• وهنا يمكن أن نقول للسريالية :

لايمكن أن يكون هناك فرق مبدئي الظاهرة والشيء

في ذاته وليس ثمة فرق بين ما هو معروف وبين ما يعرف ، فكلما ازدادت معرفتناعمقا بالاشياء والواقع أصبح الشيء في ذاته تدريجيا شيئا لذاتنا ومعرفة تعبر الحاضر باتجاه المستقبل بكل تفاؤل ، ونتجاوز يأس السريالية الذيعجزت عن اجتياز مدخل التاريخ «تراجع» اذا ما استخدمنا لغـة

السينما «فلاش ـ باك» فالتطورات في

الحقيقة والتغيـرات ليس الا انعكـاسا لتغيرات الواقــع

وتطورات المادة التي تمثـل في حقائقنا الفكريـة نسبة ،

والحقيقة بنفسها نسبة موضوعية وليست ذاتية ناشئة من

جانب الذات المفكرة ولذلك فهي لاتعني عدم وجود معرفة

حقيقة للانسان بل الحقيقة النسبية للانسان المتطورة التي

تعكسها الطبيعة في تطورها هي المعرفة التي وحدها هي الحقيقة •

ـ وفي المنطق الديالكتيكي ومرونته التي تصل الى حدتماثل الاضداد وذلك جوهر القضية التـي تغيب عن مجموع النظريات التي تنكر الديالكتيك • فهي الانعكاس الصحيح للتطور الابدي للعالم كما قال «لينين» : «يجب أن يطابق الانعكاس الشيء المنعكس عليه ولا يتضمن شيئـا غريبا جيء به على نحو ذاتي» •

وان التفسير الذاتي وفقا لوجهة النظر النسبية هي اضافة غريبة تماما لمبالغة «السريالية» الذاتيةفي تجريدات المنطق الشكلي •

ـ والتناقض كما تزعم «السريالية »ليس بين الآراء ووجهات النظر فحسب بل هو ثابت في صميم كل واقــع وحقيقة ، فما من قضية وتنطوي في داخلها نقيضها •

والتناقض الديالكيتيكي هو المحورالاساسيوالمركزي الذي يقوم عليه فهم العالموينشأ عنه نظرة التعبير الشكلي

في مجمل العلاقات الاجتماعية •

واما اذا كان هنـــاك تناقضات في افكـــار الناس

فذلك لان الواقع الذي يعكس فكرنا يحوي تناقضات،فجدل الاشياء وتناقضها ينتج عن جدل الافكار وليس العكس •

وحسب اتصال كلمنابالواقع وخضوعهلمؤثراتهذا الواقع•

ـ وهكذا يستطيعالانسان أن يفسرمجموعالنظريات التي اتت لتدخل الذاكرة عن طريق التاريخ ، هو عجز عن

العيشفيالواقع وانهزام أمام المستقبل «كالسريالية»وغيرها من أنماط التفكير ، وبالرغم منمحاولة الدفاع عنها بانها نظرية علمية ، ولكن اغفال السريالية جوهر العلميــــة وقانونها الاساسي يفسر لنا سر انهزامها وسقوطها •

ـ فاذا ان الواقع ينمو والمعرفـة تنمـو ويجب أن يطابق التاريخ العام للمعرفة تاريخ العلوم ، ولا يمكـن لنا ان نعزل ظاهرة ما لنفهمها ، لانها لم تحدث بمعزل عن الاشياء «المحيط» •

لذلك يجب أن نبدأ بالمحيط تفحصا عيانيا نـدرك فيه العمق التاريخي ، ونبني تصوراتنا التطورية للمستقبل قانونا • بحيث ندرك حتمية التاريـخ ونلتقي معهـا ولا نتفاجيء بالوقوف ضدهـا ما دامت ستنتصر بالرغم مـن الوقوف ضدها ولو تأخرت قليلا •

وعلينا أن نعيد النظر فيما نقرأ ونحفظ ومـــا قد حفظنا لكي نتمكن من انماء معرفتنا وتجديـد عزيمتهـا بخطـوات اسرع مـن الوهـم بـالوقـوف علـى أرض الواقع تأكدا من الحتميـة بشكـل علمي لا يقبل الشك ، وهكذا نستطيع ان نقف في مواجهة الآنية والانتصار عليها واستيعاب ما يناسبنا وصقله في انفسنا •

ـ وهكذا قد تبين لنا مما سبق أن السريالية قـــد سقطت بالهوة الكبيرة بين الطرح والممــارسة ، العلمية ، والغيبية وأكدتحكمالتاريخ عليهابالموت المضطربالسريع•



أقبلت دنيا من الأحلام ترسلها
كف الربيع فذاب الفجر نشوانا
واعشوشب الدرب ـ في عيني من ملأت
جوانب الدرب نسريناً وريحانا ـ
لنقر خطوك كل العزف أعشقه
من لقن العود الا أنت ألحانا
من شرد السحر في الأجفان فارتعشت
مساكب الورد أطياباً وألوانا
كم عشت أرسم في الأوهام فاتنة
ألفها بالرؤى العذراء ولهانا
كم بت أرسم في أطيافها صوراً
كأنها أنت أعطافاً وأردانا
يا روعة الورد أغفى فوق مبسمها
كم أغرق الطيب ـ في الثغرين ـ لقيانا
وكم ركبنا بساط الريح من سكر
كم رش بالنور هذا البدر ممشانا
كم أودع الليل أسراراً بمقلتها
فأطبق الصبح يمحو كل ما كانا
وتقبلين مع الأحلام ثانية ...
يا صحوة النور لا تمضي بها الآنا

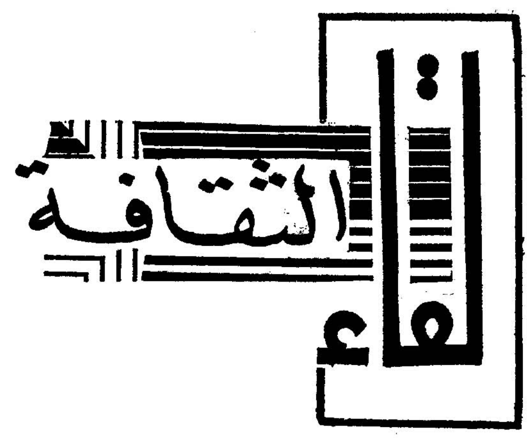
رضوان الحزواني ـ حماه

ذكي أريجه عنبر

عبد الرزاق يوسف

تموج كمقلة وسنى
خصائل شعرها الأشقر
ترف ترف في دلع
على كتفين من مرمر
تدلت فوق فستان
أنيق فاتن أحمر
يحاكي لون خديها
ذكي آريجه عنبر
ويا لله ما أبهى
محياها وما أنضر
فلا شمس ولا قمر
ولا صبح اذا أسفر
أعب رضابها شهداً
فلا أحلى ولا أسكر
تذكر قيس ليلاه
وعبلة في الهوى عنتر

عبد الرزاق يوسف ـ الحفة



مع الاديب الاردني عيسى الناعوري

حسان الكاتب

عيسى الناعوري أحد الأدباء اللامعين في عالم العروبة في النقد والشعر والقصة والرواية والمقالة يعرض عالمه بدقة وبعبارة صافية وتفكير مباشر لا غموض ولا خداع في عبارته . وهوجم النشاط وهب قلمه لخدمة وطنه ناقدا مساوئه ومبرزا ما فيه من امكانات ودافعا بركبه الى الامام ، وهو دائم الحركة دائب العطاء ، وقد اتسمت كتاباته ومؤلفاته بطابع الأعجاب العميقة التي تتقصى الحقيقة ، وتسعى دائبة وراء الصدق دون أن تراعي العواطف والصداقات تتزلف للظروف والمناسبات. وان استعراضنا لمؤلفاته البالغة / ٣٠ / كتابا بين مجموعات قصصية وروايات ودواوين شعر وأبحاث ودراسات أدبية وترجمات يؤيد ما قلناه .

ولد أديبنا في قرية ناعور بالقرب من عمان عام ١٩١٨ ، وأنهى الدراسة الابتدائية في القرية والثانوية في المدرسة البطريركية اللاتينية في القدس ثم عمل في تدريس العربية وآدابها منذ عام ١٩٥٤ . أصدر مجلة « القلم الجديد الادبية » سنة واحدة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٣) . وقد كتب وحاضر بالعربية والايطالية والانكليزية ، وبعض أعماله مترجم الى الايطالية والانكليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والمجرية . ومن أشهر مؤلفاته : أدب المهجر ، وبيت وراء الحدود ، وليلة في القطار ، والشريط الاسود وجراح جديدة ، وبطولاتعربية من فلسطين ، وعائد الى الميدان، وأخي الانسان ـ ديوان شعر ـ ومن ترجماته رواية « الفهد » و « مونتمارا » و « أطفال وعجائز » عن الايطالية .

مثل الاردن في عدد كبير من المؤتمرات الادبية العربية والدولية ومؤتمرات المستشرقين . وحاز على أوسمة رفيعة وشهادة الدكتوراه الفخرية من جمهورية ايطاليا ووسام من الجمهورية التونسية ، وهو عضو فخري في مركز العلاقات الايطالية العربية في روما .

وقد تفضل الاستاذ عيسى الناعوري بالاجابة على أسئلتي حول نشأته الأدبية وحياته الخاصة ونشاطاته الفكرية ومؤلفاته نقدمها فيما يلي :

● لا شك أن الصورة التي ترتسم في ذهن الانسان في بداية نشأته .. تبقى ماثلة في مخيلته ... وتمده بالاستعداد والطاقة والتصور مدى الحياة .. فهل لك أن تحدثنا عن قريتك التي ولدت فيها :

قريتي ناعور .. قرية صغيرة تبعد نحو ـ ١٤ ـ كيلو مترا جنوب العاصمة الاردنية عمان ، ويسكنها نحو (٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠) شخص ، من البدو والشركس ، والنصارى . وهي مقسمة الى ثلاثة أقسام ، كل منها يقوم على تل ، وتفصل بينها اودية تجري فيها مياه غزيرة جدا في الشتاء ، وضحلة في الصيف ، وهذه المياه تسقي بساتين القرية المترامية الى الجهة الغربية من القرية ، في واد سحيق ، عامر بالخضرة صيفا وشتاء . ان قريتي مجموعة تلال وأودية وعرة جدا والفلاحون يعانون الكثير من العناء في نقل منتوجات بساتينهم من الوادي السحيق الى القرية . وأحياء القرية الثلاثة المتقابلة على ثلاثة تلال هي : الخربة (القرية القديمة ، ويسكنها بعض البدو والقرويين والنصارى) وحارة الشركس (ويسكنها عدد كبير من الشراكسة المهاجرين من القوقاس في العهد التركي) ، وحارة الدبر (وهي الحي الجديد من ناعور ، وقد اقام أغلبه النصارى حولالدير اللاتيني الذيأقيمهناك عام ١٩٢٦ ،ثم أعيد بناؤه وازداد اتساعا) . وفي الجهة الغربية منالقرية شلاليزيد ارتفاعه عن ـ ٤٠ ـ مترا ، وفي الصيف تسح على جنبه العالي مياه خفيفة صافية لتسقي البساتين المترامية من تحته (تجد وصفا للقرية في روايتي فارس يحرق معداته) .

● أرجو أن تتم الصورة لخيال القارىء العربي .. فتحدثنا عن منزلك الذي تقيم فيه في عمان .. والذي ألفت فيه معظم كتبك .

الدار التي أقيم فيها ليست ملكا لي ، ولكنها ملك للسيد عيسى سليم عماري . وأنا أعيش فيها منذ شهر حزيران عام ـ ١٩٥٧ ـ ، وموقعها في وسط (جبل الحسين) . وهي في الدور الثاني ، وتتألف من خمس غرف ، وشرفة عريضة صيفية . وجبل الحسين

حي جديد من أحياء عمان لم يكن يسكنه أحد من قبل عام ١٩٤٨ • ولكنه الآن حي كبير ،مترامي الأطراف ، وفيه عمارات جديدة وفيلات مدهشة ، ولكن بيتي ليس

منها ، بل هو بيت بسيط ، فقير المظهر ، وظروفي المادية

لا تسمح لي بسكنى بيت أحدث أو أجمل مظهرا ، ولا سيما مع أزمة البيوت الخانقة ، وارتفاع الاجور

الباذخ ! ولكن الحي يعج بالمدارس الحكومية والاهلية الكثيرة جدا ، مما ساعدني على أن أعلم كل أولادي

وبناتي في مدارس حكومية ابتدائية واعدادية وثانوية علمية وأدبية ـ قريبة جدا من منزلي ، وأبعدها عنه مسافة لا تبعد أكثر من ـ ٢٠٠ ـ متر •

● هل لك ان تحدثنا كيف توزع نشاطك اليومي بالنسبة للكتابة :

هذا سؤال تصعب الاجابة عنه ، فأنا ـ بالرغم من انني شديد الترتيب والتنظيم في أعمالي ـ لا أعرف طريقةلتنظيم الكتابةوالمطالعة ، لأن بيتي في أغلب الاحيان عامر بالزوار ، من الأهل والجيران والأصدقاء •

وكثيرا ما اضطر ـ سدا للفراغ في هذه الزيارات ـ الى ملاعبة الزائرين بالنرد والشطرنج • أما الاوقات الاخرى

التي لا يكون فيها عندنا زائرون فأقضيها كلها في الكتابة أو المطالعة كما انني استغل كل فترة فراغ في

مكتب العمل الرسمي للمطالعة والكتابة ، وكثيرا ما أكتب مقالاتي ، وبعض ترجماتي وفصول مؤلفاتي في مكتب

العمل الرسمي • وأيام الجمع والعطل أملأها بالكتابة والمطالعة • ومن هنا ترى انني لا استطيع تنظيم أوقات معينة للنشاطات الأدبية •

● والآن وبعد أن أعطيتنا صورة عن نشأتك

وحياتك البيتية • هل لك أن تحدثنا قليلا عن أسرتك ؟

في ١٩ كانون الأول ١٩٣٩ اقترنت بفتاة فلسطينية

من اسرة مقدسية مسيحية عريقة ، اسمها «ايلين زنانيري»،

وكنت أقيم آنذاك في القدس ، وكان عمري ـ ٢١ ـ سنة

وعمرها دون السادسة عشرة بقليل • ورزقت منها خمسة أبناء وبنتين :

الأبناء : سمير ، وهو الآن سكرتير السفارة

الأردنية في اليابان ، وقد حصل على شهادة (B . A)

في التاريخ من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٦٧ •

نبيل ، أنهى السنة الرابعة هندسة لاسلكية

في القاهرة هذا العام •

منير ، انهى السنة الثانية طب في موسكو هذا

العام • •

جمال ، أنهى الدراسة الثانوية ، وسيذهب هذا العام الى اسبانيا لدراسة الهندسة •

مجدي ، أنهى الصف الخامس الابتدائي فقط هذا العام وعمره ـ ١١ ـ سنة •

البنتان : لمياء : أنهت الدراسة الثانوية عام ١٩٦٥ وتعمل في مؤسسة عالية للطيران •

جهاد : أنهت الدراسة الثانوية عام ١٩٦٦ ، وتعمل في البنك العربي في عمان •

● بعد ان سمحت لنا أن نأخذ فكرة صادقة وواقعية عن حياتك • •نرجو أن تبين لنا كيف توجهت للكتابة ونظم الشعر ؟

أول ما وجهني نحو الأدب هو كتاب (المختارات) للأب رفائيل نخلة اليسوعي ، وقد وقع في يدي ـ وأنا

في المدرسة الاكليركية في القدس عام ١٩٣٠ ، فقد حبب الي الأدب ، فرحت أكتب وأنظم الشعر وأنا دون

الخامسة عشرة من عمري • أما الكتابة الأدبية الجادة فقد بدأتها منذ عام ١٩٤٠ ، وكانت فيها بواكير

النضج التي تكاملت مع الايام • وكان أول ما توجهت اليه هو الشعر ، ولكن أول ما نشرت من كتاباتي كان

اقصوصة اسطورية ترجمتها عن الايطالية عنوانها

« الجندي الباسل » وظهرت في مجلة شهرية مقدسية اسمها (رقيب صهيون) عام ١٩٣٢ ، فيما أذكر • وكنت

ما أزال طالبا في المدرسة الاكليركية اللاتينية في القدس •

● ما هو أحب مؤلفاتك اليك ولماذا ؟

كلها حبيب الي وأثير عندي • ولكن لبعضها منزلة خاصة عندي ، وهي : ١ ـ أدب المهجر ـ لأنه أوفى

مرجع في موضوعه الى اليوم ، وقد أعيد طبعه مرتين ، وأعد أخيرا للطبعة الثالثة • وقد استفاد منه كل من كتب

في الأدب المهجري (عدا مندور ووديع ديب) •

٢ ـ أدباء من الشرق والغرب ـ لأنه الكتاب الوحيد من نوعه في المكتبة العربية الى اليوم •

٣ ـ الشريط الاسود ـ لأنهيصور فترة من عمري، ويعطي انطباعات انسانية مؤثرة •

٤ ـ أقاصيص أردنية ـ لأنه أجزاء وفلذات من الحياة التي تمر في القرية في طفولتي •

٥ ـ حكايا جديدة ـ لأن نصفه مثل

(أقاصيص أردنية) والنصف الآخر أشياء لمستها في بلدان متعددة ، فهي ذكريات أثيره عندي •

٦ ـ ترجماتي الايطالية من شعر المقاومة في الارض المحتلة بعنوان (قصائد من نار ودم) • لأنه

كتاب فريد من نوعه ، ينقل قصة مقاومة الاحتلال الصهيوني الى ضمائر الغربيين بواحدة من لغاتهم • وقد نال نجاحا كبيرا اذ أعيد طبعه ثلاث مرات خلال ستة أشهر ، ونفذت منه خلالها ثلاثون ألف نسخة •

● بمن تأثرت من الشعراء والأدباء ؟

من العرب : جبران وأبو ماضي • ومن الأجانب لا أذكر أحدا ، ولكنني دون ريب تأثرت بالأدب الايطالي تأثرا مباشرا ، ولا سيما في القصة والرواية والشعر •

● ما هي أجمل قصة قرأتها ؟

لا أذكر قصة معينة قرأت الكثير من القصص لأدباء عديدين من مختلف انحاء العالم • ولكنني أخترت للترجمة من أشهر الكتب العالمية هي : (الفهد — وفونتمارا) عن اللغة الايطالية ، و (مأساة الانسان) وهي قصة شعرية مجرية ، كما ترجمت العديد من الاقاصيص الغربية والايطالية الجميلة جدا ، وكلها ترجمتها لأنني أحببتها ، ولأنني أعتبرها من عيون الآداب العالمية •

● من هو شاعرك المفضل ؟

ليس لي شاعر مفضل معين ، لا في الشرق ولا في الغرب • ولكنني أحب نزار قباني وأعتبره شاعرا عظيما •

● ما هو رأيك في القصة العربية المعاصرة ؟

أرى أنها الآن في مستوى جيد ، والكثير من القصص المعاصرة يستحق الترجمة الى لغات العالم • ولكن الأكثرية الساحقة ما تزال تزحف على الأرض ؟ وهذا ليس بغريب ، لأن أدعياء الأدب هم دائما الأكثرية الساحقة ، والأدباء الحقيقيون هم الأقلية دائما •

● ما هو رأيك في المسرح العربي المعاصر ؟

المسرح السوري — أصبح مسرحا جديرا بالاعجاب والتقدير • وقد شاهدت الكثير من المسرحيات السورية في التلفزيون الأردني فأعجبت بها كثيرا ، أما المسرح المصري فليس أكثر من تهجيف وزعيق يمزق الأذن • انه يمثل الفراغ الكبير • أما المسرح الأردني فما يزال يحبو والأعمال الابداعية فيه نادرة جدا • ولا أعرف شيئا عن المسرحية في البلدان الاخرى •

● ما هو رأيك في الاغنية العربية ؟

الاغنية اللبنانية وحدها هي الاغنية العربية الملأى بالحياة والجمال ، وكانت الأغنية الأردنية قبل سنوات حية وجميلة كذلك ، ولكنها فقدت أخيرا كل عناصر الحياة والجمال ، أما الأغنية المصرية — خاصة — فلا تعجبني والكلام فيها مبتذل وتافه في الغالب ؟ •

● ما هو المطرب الذي يعجبك ، ومن هي المطربة ؟

تعجبني سميرةتوفيق دائما، وتعجبني كذلك فيروز، وأختها هدى ، ولكن ليس لدي مطرب مفضل ولا مطربة •

● ما هي اللغات التي تتقنها وتكتب بها ؟

العربية ، والايطالية ، والانكليزية • وأقرأ بالفرنسية والاسبانية أحيانا وأترجم عنهما • أما اللغات الثلاث الأولى فلي فيها محاضرات وكتب •

● علمت أن ايطاليا منحتك الدكتوراه الفخرية •• فهل تحدثنا عن ذلك ؟

قررت جامعة باليرمو ، في صقلية ، منحي درجة الدكتوراه الفخرية تقديرا لانتاجي الادبي الغزير (٣٠ كتابا حتى الآن) ولاهتمامي الواسع بالادب الايطالي المعاصر ، وترجماتي المهمة عنه ، ولا سيما انني اصبحت الآن المتخصص الوحيد فيه في الاقطار العربية ، بعد وفاة (حسن عمثان ، وطه فوزي ، ومحمد اسماعيل) المصريين •

● ماهي البلدان التي زرتها ؟

زرت القسم الأكبر من البلدان العربية والعديد من بلدان الغرب زيارات متعددة • وتجولت ، وحاضرت وشاركت في مؤتمرات عربية ودولية ، واستشراقية ، المهم أن كل رحلاتي كانت ثقافية ، وكانت سبيلا الى صداقات أدبية حبيبة الى نفسي •

● حدثنا عن علاقاتك بأدباء المهجر ؟

كانت لي صلاة متينة بأدباء المهجر الأحياء منذ سنة ١٩٤٦ ، في المهجرين الشمالي والجنوبي ، وبعضهم كانت مراسلاتي معهم مستمرة حتى كان لدي منهم عشرات الرسائل ، وكان لديهم مثلها مني ومن تلك الصلات المتينة استطعت أن أكتب كتابي « أدب المهجر » الذي استغرق تأليفه مني اثنتي عشرة سنة (١٩٤٦ — ١٩٥٨) • ثم فترات مراسلاتي مع المهجريين بعد صدور الطبعة الاولى من الكتاب ، وان كان قد بقي منها (نزازات) الى اليوم•

● ما هي أعمالك الأدبية التي لم تنشر بعد ؟

لدي الآن ما لا يقل عن — ٢٥ — كتاباً بين موضوع ومترجم ، وبالعربية والايطالية ما تزال تنتظر الوصول الى يد الناشر •

حسان بدر الدين الكاتب

أغاني العمل

تعريب وتقديم عبد اللطيف الارناؤوط

في الأول من شهر أيار كل عـــام يتمخض الأدب العمالي عن أغاني العمل ٠٠ وذلك منذ بداية الأيـــام السوداء التي عصرتها القرون الماضية ٠٠ فنزفت منهـا جراح آلام العمال ٠ ٠ على شكل قصـــائـد شعبيـــة واجتماعية مع ولادة النهضة الصناعية ٠

ومع ازدهار الصناعة تفتحت أزهار الأدب الشعبي٠ والعمالي ٠٠ والفلاحي وذلك حتى مطلع الحرب العالمية الاولى ٠٠

وبعـد أن اعتبرت الطبقـة العاملـة قـــوة سياسية مناضلة تأصل الأدب الشعبي العمالي الذي يدعو للطبقة الكادحة٠٠وكانت الثورة الاشتراكية عاملاهاما ٠٠ فنشرت على القوافي الشعرية هالة قدسية أحاطت بالنضال العمالي المستمر ٠٠

وكثير من الشعراء الذين مجدوا العمل ٠٠ ورفعوا راية الكفاح ٠٠ والثورة الخالدة ذلك لأن العمل كنز ثمـين ٠

ويغني الشـــاعر الفرنسي (بيير دي بـون) في رائعته « نشيد العمال » فيقول :

نحن العمال ٠٠

نوقد القنديل
عند صياح الديكة ٠٠

يشـدنـا ٠٠
السندان قبل الفجر
نكافح بالايدي
بالأرجـــل ٠
بالسواعد ٠٠
بكل أجسامنا ٠ طاقاتنا

ولا نتهيأ لمستقبل أيامنا ٠٠
ضد البرد ٠٠

ضد الشيخوخة ٠٠

يحب بعضنا بعضا

ونشرب في حلقات الرقص

ولندع المدافع تحرس أرضنا ٠

وتزمجر لاستقلال العالم ٠٠

★ ★ ★

ويرتاح الشاعر : « آدم بيبو » في « معمله » وهو ينشر الخشب ٠ فيفصح عن راحته ويقول :

يطربني صرير منشاري ٠

أكثر من ضجيج القصر ٠٠

كما يردد « بول جرميني » ٠

أيها الرجل ٠٠

لا تقطع حبل الصناعة ٠

لأن جهودك أخيرا ٠٠

ستخضع البحار والملائكة

وهناك شعراء عاشوا لذاتهم ٠٠ وكـرهوا الشعر الذي يقال في العمل ٠٠ فراحوا ينشدون أغانيهم تعبيرا عن مأساة حياتهم التي نبذتهم من مجتمعات النضال ٠٠ والعمل ٠٠

مثل « رامبو » الشاعر المشرد الذي قال :
تنتابني الرهبة من أية مهنة
رب العمل ٠٠ والعامل ٠٠ والفلاح
وان اليد التي تحمل القلم
خير من اليد التي تحمل المحراث

★ ★ ★

ويردد الشاعر « جاك ريفو » فيقول :
هناك بشر يجمع المال ٠٠
وغيرهم مصاب بالشرود
وآخرون ينجبون الأولاد
وهناك من يصنع الفكر
وهناك من يبغي وصال امرأة
ومنهم من يحتاج الى شفقة ٠
لكني منذ بدأت افتش عن عمل
لم أجد سبيلا الى ذلك ٠
لأنه لا يوجد شيء أعمله ٠

★ ★ ★

وأخيرا ردد « لافونتين » قصيدته « مرثية » :
غادرنا ـ جان ـ
مثلما تغادر القدم أية أرض
وقد استهلك رأس المال والربح
ان جمع الدراهم أمر لا يعرفه « جان »

لم لم يوزع وقته اذن

الى قسمين ٠٠
قسم للنوم ٠٠
وقسم للبطالة ٠٠



عبد القادر الحصني

سمراء حسنك فني ... اذا أردت أغني
وأنت نغمة شعري ... وأنت كأسي ولحني
عبدت حسنك طيفاً ... ما بين جفن وجفن
وهمت ما هام مثلي ... جميل بشن ببشن
روحي الفداء لقد ... مهفهف الخصر لدن
سكرت منه ٠٠ وسكري ... من غير خمر ودن
سمراء لونت شعري ... بألف لون ٠٠ ولون
لولاك ما كان وحي ... من عوده الغض أجني
لولاك ما طاب لحن ... على شفاه المغني
فلفتة منك تحيي ... ولفتة منك تفني
رخيم صوتك أحلى ... من ألف بحر ووزن
قدست حسنك حتى ... أغارني الحسن مني
يا دفقة من حنان ... محت هواجس حزني
تيهي وزيدي دلالا ... ونمنمي روض حسن
ولتقرأي في عيوني ... اني أحبك ٠٠ اني

الكتابة على شجر الليل

محمد مصطفى درويش

بين نهي مما لقيت وأمر ... أذهبت لوعتي اذاعة سري
كنت أجري وراءها غير أني ... صرت منها أجري وأجري وأجري
كنت أخشى من غدرها غير أني ... صرت أرضى الوفاء منها بغدر
حطني سيل حبها من أعالي ... جسدي ٠٠ غربتي، كجلمود صخر
صار بعضاً مني متابي اليها ... بين كر من الذنوب وفر
قيل : حياً دفنت في شفتيها ... قبلة قبلة ، وفي النهد حشري
زرعتني كالحزن في عصب الليل ونامت في أضلعي : حقل جمر
أسلمتني للخمر ، تفتك بالعظم ، لهم كالسل ينهش صدري
كيف تبقى مبسوطة يد حبي ؟ ... بين ازرائها وازراء دهري
يا ردائي الليلي لا تتركيني ... نهب برد يعض روحي ، وحر
سافري في ، شمعي كل غيم ... في سمائي ، وصادري كل نهر
أنت! من أنت؟ ٠٠ جرعة من خطايا ... أيقظت في دمي كريات قهري
قيل: عيناك فوق ماتدعي الآثام ... لا تعرفان معنى لطهر

مع الآداب العالمية

حب والد حقيقي

تشوي يونغ أوك

كان ذلك يوم التاسع والعشرين من نيسان في ربيع سنة ١٩٦٠ . كانت أشجار الازالية والمشمش مزهرة تماما . وزهرات الكرز قد بدأت تتفتح . أظن أن ذلك اليوم كان يوم الجمعة .

وفي تلك السنة أيضا كنا نحن التلاميذ قد أعطينا ملابس جديدة ، قبليومأول أيار ، من قبل والدناالرئيس كيم ايل سونغ ، القائد المحترم المحبوب الذييزودنا بثياب الشتاء في الخريف وثياب الصيف في الربيع كل عام .

كان اليوم الثالث بعد أن أصبحت ارتدي ملابسي الجديدة . وقد نصحتني أختي الاكبر مني بأن أرتديها يوم أول أيار ، ولكني لم أستطع أن انتظر وارتديتها في اليوم نفسه الذي تسلمتها فيه .

سترة مخاطة جيدا وتنورة كحلية مثناة جعلتني أشعر بالابتهاج لمجرد النظر اليها ... ولم استطع الانتظار مثل أختي حتى يوم أول أيار . وقد لبست أجدّ وشاح لدي وأجمل شريط لاوازي ملابسي الجديدة . وكنت ألعب مع رفيقاتي في الحديقة .

تقدمت سيارة وترجل منها عم صغير السن .وتحدث الينا :

«ان ملابسكن المدرسية الجديدة تبدو جميلة جدا. هل أستطيع أن التقط صورة لكن ؟»

وركضنا نحوه وايدينا تصفق فرحة .

«حسنا ، حسنا . انني سألتقط صورة لكم.تعالوا أصعدوا في السيارة » .

وسارت السيارة بهدوء عبر الشارع العريض،تقلني مع خونغ سن وصبيين .

«اين ستأخذ الصورة يا عم ؟»

«في مكان جميل . سترون» .

«عندما تأخذ صورة ، هل من الممكن أن تعطي صورة لكل واحد منا ؟» .

«لماذا لا» .

وخففت السيارة من سرعتها ودخلت بوابة كبيرة . وكانت أغصان الصفصاف المتبرعمة تتعلق فوقنا وعلى جانبي الطريق كانت أشجار الفورسيتيه الصفراء في أحلى ما تكون . وكانت الهندباء البرية والزنابق ترشم المرجة المعشبة وراء سياج أشجار الفورسيتيه .

وعندما تحركت السيارة صاعدة ، بآن لنا نوار المشمش والازاليا ، وكانت ترى خلف ذلك غابة من أشجار الحور الطويل أو الحور الرجراج ، لم أكن متاكدة .

ولقد دهشت وسألت :

«أين نحن يا عم ؟» .

«سوف ترين . دعونا نسر ابعد قليلا» .

وتوقفت السيارة أمام مسكبة زهر خلف بيت من طابقين .

«حسنا دعونا نذهب هناك» .

وقادنا العم . وتبعناه حول مسكبة الزهر ، ووصلنا مكانا حيث كانت توجد مقاعد .

وكان هناك رجل يقرأ جريدة على مقعد ، تحت شجرة مشمش على بعد قليل . نظرت اليه من الخلف عرضا . كان يلبس سترة بسيطة مغلقة ، وحتى تلك اللحظة لم أكن أعلم شيئا ، وفي الحقيقة لم أكن أعلم شيئا لانني كنت أفكر بالتقاط الصورة فقط .

يبدو انه سمع خطواتنا ، والتفت نحونا وهو يضع الجريدة .

ولقد فوجئت حقافيتلك اللحظة وظننت أني أحلم. ولكني لا يمكن أن أكون مخطئة . ذلك الوجه المجلل بالبسمات ..! كيف يمكن أن أعجز عن التعرف على الرئيس كيم ايل سونغ الذي كانت صورته معلقة عاليا على جدار غرفتنا ، وقد أحطتها انا واختي والاكبر مني بالزهر تعبيرا عن الحب الشديد ، والذي كنا نحييصورته كل صباح ونقول : «اننا ماضيتان الى المدرسة» .

حيانا الرئيس بانحناءة واومأ الينا . واندفعنا اليه نحن الاربعة في لحظة واحدة . ووقفنا في حالة استعداد ووجهنا اليه تحية طلائع الفتوة .

«كيف أنت يا مارشال ؟» .

«حسن جدا ، هل تدرسون بجد ؟» .

ومضى الرئيس كيم ايل سونغ في حديثه محيطا كواهلنا بذراعيه كل اثنين في جانب :

«لقد لبستم الثياب الجديدة . دعوني أرى . لقد أرسلت في طلبكم لأرى ملابسكم الجديدة ...» .

وسألنا المارشال أسئلة عديدة ، رابتا على شعورنا ومصححا وضع أشرطتنا .

«كيف تشعرون في ملابسكم الجديدة ؟ ان خياطتها تبدو أحسن كثيرا من ملابس السنة الماضية . هل تحبونها ؟» .

كان المارشال كيم ايل سونغ مثل والدنا الحقيقي. ولم أشعر بأي قدر من الرسمية في تعامله ،لانه داعب كلا منا كما لو كان يداعب أطفاله .

وهكذا تنافسنا بعضنا مع بعض في الاجابة :

« ان هذه السنوات أجمل وأكثر وفرة » .
«انها تلائمنا جيدا يامارشال» .

وأخذ المارشال يسأل ، وهو يدير الصبيين نحو هذه الجهة أو تلك ، عما اذا كانت «القبّة» ملائمة ، وعما اذا كانا يرتاحان في سراويلهما اذا ما جلسا أو ركضا ، وعما اذا كانت الازرار مثبتة تثبيتا قويا . وأخذ ، بعد نظرة عن كثب، يد أحد الصبيين وقال ، منفجرا في الضحك كأب .

« انت طفل شقي كما يبدو من نظافة يديك » .

وعندما نظر المارشال الى ثيابي ، انتزع بانتباه الجزء الباقي من الرقعة التي كانت ما زالت لاصقة عليه ، وبقية الخيطان المسرجة فيه . ففي اليوم الذي تسلمت فيه الملابس الجديدة كانت الرغبة في ارتدائها تستثيرني حتى انني لم انزع الرقعة الملصقة عليها جيدا .

وفي تلك اللحظة التقط العم الذي كان جالسا بقربنا صورة لنا .

وسأل المارشال كيم ايل سونغ :

«هل تنورتك مثناة جيدا ؟» .

ثم صنع ثنية بيديه .

ثم قال :

«سوف تحصلون في السنة القادمة على ملابس أفضل . ان بلادنا سوف تنتج المزيد والمزيد من المنسوجات كل سنة . ان اخواتكم الاكبر منكم سنا يعملن في معامل بجد ليحكن منسوجات أفضل بينما تفكر أمهاتكم وخالاتكم اللواتي يخطن الملابس كيف يخطن ملابس أفضل . وانتم أيضا تعرفون ماذا يعني اصلاح النوعية ، ألا تعرفون ؟»
وسأل المارشال ، بعد أن تفحص بعناية ملابسنا الجديدة :
«كم زوجا من الأحذية المصنوعة من قماش القنب تلبسون في العام ؟» .

أجاب بعضهم : أربعة وبعضهم خمسة .

«انه ليس سليما أن تطووا الجزء الخلفي للحذاء ، أو أن تجروا أقدامكم جرا . ولكنه حسن أن تلبسوا الاحذية وتخرجوا لممارسة الالعاب أو الرقص» .

وطرح علينا المارشال العديد من الاسئلة الاخرى . كم عدد الاقلام التي نحتاج اليها في الشهر ، وعما اذا كانت برية القلم تنكسر بسهولة، وعما اذا كانت الكتب المدرسية تتوفر بكميات كافية ، وعما اذا كانت المخازن تحتوي على العدد الكافي من الدفاتر ، وعما اذا كانت «المحايات» تمحو جيدا وهكذا دواليك .

وسألنا ايضا عن الدوائر الفنية التي ننتمي اليها ، وعن أي الأفلام نحب أكثر ، وعما نريد أن نكون عندما نكبر . وبدأ بعد ذلك يسألنا عن حياتنا البيتية .

وجاء دوري .
«ماذا يعمل والدك؟هل يعمل في مصنع أو في مكتب؟»
« ..... »

لم استطع الاجابة بسرعة .
نظر المارشال الى وجهي مباشرة . وتلاشت الابتسامة المشرقة فجأة عن وجهه .

وسأل بصوت رقيق ، وعيناه تضيقان :
«لماذا ؟ أليس لديك أب ؟» .

«لا .....» .
«وماذا عن والدتك ؟» .

«انها متوفاة أيضا» .
«والدتك أيضا ؟! ... ما اسمك ؟ أعتقد شو يونغ أوك ...» .

واكمل المارشال كيم ايل سونغ بينما كان يمسك يدي بقوة :

«يونغ أوك ،متى وكيف مات والدك ووالدتك ؟» .

أخبرته عن كل شيء ، محملقة بيدي المارشال الكبيرتين الحارتين اللتين تداعبان يدي . وأنا في العادة لاأتحدث حتى عندما أسأل عن موت والدي ، لان الحديث يجعلني أفكر أكثر بوالدي ووالدتي فيما بعد . ولكني قلت كل شيء ، لان المارشال سألني .

قتل والدي في غارة جوية قام بها امبرياليو الولايات المتحدة اللصوص خلال حرب التحرير الوطني، بينما كان في نوبة عمل ليلية في مصنع المطاط . واعتنت بعد ذلك والدتي بنا ، وكانت تعمل في مصنع لتعليب الغذاء . ولكنها ماتت أيضا في أيار ١٩٥٩ تاركة لنا أربع يتيمات .
وبعد أن سمع المارشال كيم ايل سونغ قصتي سألني المزيد من الاسئلة :

«يا أوك الصغيرة كيف تدبرت أمر معيشتك في السنة الماضية منذ موت والدتك ؟ مع من تعيشين الآن ؟ .

«نحن نعيش وحدنا . ان اختي الاكبر مني . التي تكبرني بسنتين تقوم بالطبخ والغسيل . وأقوم به أنا ، عندما تأتي الى البيت متأخرة من المدرسة ، أما أختي الاصغر مني يونغ سيل فعمرها الآن احد عشر عاما وهي تستطيع أن تقوم بالطبخ أيضا» .

وقربني المارشال اليه وسأل :

«تفعلن كل شي وحدكن .. أليس لديكن أقارب ؟»

«لا .. ولهذا فان المصنع ، حيث كانت أمي تعمل أرسل لنا مربية . وقد كانت تنام معنا مدة من الزمن . ولكنها فيما بعد ذهبت الى وانسان للالتحاق بزوجها الذي عيّن هناك بعد أن سُرح من الجيش . وعندما غادرتنا أخذت يونغ هوي الصغيرة ، أختنا الصغرى معها ، وهكذا فنحن الاخوات الثلاث نعيش معا ..» .

وتحدثت اليه عن العناية الصادقة للقائد الابوي المارشال كيم ايل سونغ الذي زودنا بشقة ومخصصات شهرية ، وعن الجدات والخالات في الجوار اللواتي كن يهتممن بالنار في مطبخنا في الايام الباردة أو العاصفة ، وعن الاخوال والخالات في المصنع حيث كانت تعمل

والدتي ، الذين كانوا يجيئون لرؤيتنا ومعهم خشارة الفاصوليا ومواد غذائية ثانوية أخرى .

« وعلى كل حال انه لأمر عظيم بالنسبة لكن ايتها القمريات الثلاث ان تقمن بكل ما يلزمكن من طبخ وغسيل وتنظيف . وهكذا فانتن تعتنين بالبيت بأنفسكن بينما تدرسن .. ان هذا بالحقيقة لشجاعة .. » .

وبدا أن صوت المارشال اصبح أخشن قليلا عندما تكلم كلاما متقطعا ، رابتا ، على يدي ، وبعد لحظة صمت أخذ المارشال كيم ايل سونغ دفتر ملاحظاته وقلمه وسألني بصوت منخفض :

« وما هو رقم شقتك يا بونغ اوك ؟ »

ودوّن في دفتر ملاحظاته ما اجبته به :

« الغرفة رقم ٣٣٠ ، الطابق الثالث ، الوحدة الثانية جنغ سونغ دونغ ، المنطقة الوسطى » .

وسجل ، بعدئذ تحت العنوان ، اسماء الاخوات بأحرف كبيرة .

وعندما أغلق المارشال دفتر المذكرات سألني فجأة :
« يونغ اوك ، هل ذهبت يوما الى حديقة الحيوان ؟ وهكذا لقد كنت هنالك . اذن لا بد انك رأيت النمورة والاسود والافيال أيضا » .

أخبرته أنني رأيت السعادين تتراقص ، ودبا يمشي على ساقيه الخلفيتين طالبا البسكويت ، والسنجاب يسوق عجلة . والتقط العم الذي كان جالسا الى جانبنا صورة أخرى في تلك اللحظة .

وسأل المارشال مرة ثانية .

« وماذا ايضا ؟ »

ومضيت أنا ، بنت الثالثة عشرة البريئة احكي عن الحيوانات التي رأيتها للمرة الاولى في حديقة الحيوان ، مقلدة اياها بمختلف الاشارات . والآن ، وبعد سنتين استطيع ان أخمن تخميناً غائماً لماذا ساق الرئيس موضوع حديقة الحيوانات ، وراقب باهتمام وابتسم بلطف على اجاباتي لأسئلته ، وأنا أقلد الحيوانات . انني اعتقد ان المارشال كيم ايل سونغ فعل هذا ليبعث السرور في نفسي بعد أن تحدثت عن أبي وأمي . وربما أكون قادرة على فهم المزيد عندما اكبر .

وسألنا المارشال كيم ايل سونغ عما اذا كنا نقرأ سون يون شن مون (اخبار الطلائع الشابة) ، وتحوّل بنا الى الحديث عن مسألة جنوب كوريا .

« ما الذي يجري في كوريا الجنوبية ؟ »

وتنافسنا بعضنا مع بعض في اخباره بأن سينغمان ري قد اطيح به ، ولكن بما أن عدونا امبريالية الولايات المتحدة ما زالت متشبثة هناك ، فان الآباء والأمهات والاخوة واخوات هناك ما زالوا يعيشون أياما عجافا ، كما كان الوضع من قبل ، وان عددا كبيرا من الاطفال كانوا متروكين دون مدارس ، كما كان الوضع في ظل حكم سينغمان ري ، وكانوا يعيشون في خرق بالية وجوعى **كالمتسولين ، يلمعون الاحذية ويبيعون السجاير .**

« حسنا ، هذا هو الصحيح . وهكذا انتم تقرأون الجريدة جيدا أيضا » . ثم تابع المارشال وهو يحدق بنظرة حالمة :

« كم يستحق اطفال كوريا الجنوبية الاشفاق .. ! وحين تطرد عصابات اليانكي ، فان بلادنا ستوحد ، وحينئذ فان الاطفال سيحملون المحافظ المدرسية بدلا من صناديق تلميع الاحذية ، وعلب السجاير وعلب القصدير **وسيفعلون مثلكم هنا ، ملابس جديدة في كل ربيع وخريف ..** وسوف تكون لديهم القدرة على الدراسة واللعب بحرية مثلكم ، اليس كذلك ؟ ان عليكم ان تدرسوا جيدا ، متذكرين هذا ، ان الدراسة ، بالنسبة لكم ، هي أهم شيء .. » .

أخذ المارشال يدي ، وحثني بشكل خاص :

« عليك ان تدرسي جيدا يابونغ اوك ... ان عليك ان تدرسي بجد ، وان تصبحي امرءاً رائعاً » .

وطلبت من المارشال ان يصبح طالبا فخريا وان يكون طلائعيا شابا نموذجيا . نهض المارشال كيم ايل سونغ من المقعد وعانق كل واحد منا وقال مبتسما : « الآن يمكنكم ان تذهبوا . انه يوم ربيعي جميل . اذهبوا العبوا » « وداعا يا مارشال » .

حييته تحية الطلائع الشابة . ولكن حتى بعد ذلك كنت مترددة في فراق المارشال .

وفي كل مرة كنا نلتفت خلفنا كان المارشال كيم ايل سونغ ينحني ويلوح بيديه .

فارقنا المارشال وعدنا الى البيت بالسيارة . وعندما كانت السيارة تدخل عبر الشارع أحسست كما لو أن كل العابرين كانوا ينظرون الي . وبدا لي انهم كانوا ينظرون **الي حسرا لاني قابلت الماريشال وكسبت حبه . وشعرت** أنني احلق في السماء .

واندفعت ، عندما انحدرت من السيارة على الدرج صاعدة الى شقتنا لأشارك اخواتي هذه الفرحة . ولكن لم يكن احد في البيت . وعندئذ فقط تذكرت أن اختي الكبرى ذهبت تتمرن على عرض جماهيري ، وان أختي الصغرى ذهبت لتتدرب على عرض فني .

وقفت امام صورة المارشال ، وقلت لنفسي وأنا احييه كما فعلت منذ لحظات مضت :

« ايها المارشال ، اشكرك ! سأصبح بالتأكيد تلميذة شرف ، وطلائعية شابة نموذجية !)

ونظرت مرة وأخرى الى يدي التي ربت عليها المارشال ، متذكرة كل ما حدث منذ فترة قريبة مضت من البداية . نظرت الى ظهر يدي ، ثم الى راحتي ، ثم الى ظهر يدي . ولا ادري كم مرة كررت ذلك .

ولقد كنت متوترة حتى أنني لم أشعر بالحاجة الى تناول طعام العشاء . وغنيت كل الأغاني التي أعرف عن المارشال كيم ايل سونغ ، محركة يدي حركات متناسقة كما لو كنت اوجه كورسا .

وتذكرت ما قاله بقلق المارشال كيم ايل سونغ عن اطفال كوريا الجنوبية . وتحققت بعمق في قلبي كم كنا سعيدات نحن الاخوات ، مع اننا دون والدين . ولو كنا في كوريا الجنوبية لكنا ننام تحت جسر ، ونتجول متسولات . ولكن والدنا المارشال كيم ايل سونغ قدم لنا شقة جميلة ، وأمر لنا بمخصصات شهرية . وقد ساعدنا الاخوال والخالات في المصنع الذي كانت امنا تعمل فيه والجدات والخالات المجاورات ، وهمت في افكار لا حدود لها .

وطرق طارق على الباب . وفتحت الباب منتظرة واحدة من اخواتي . وقد فاجأني كان العم الذي أخذني وأعادني الى البيت واقفا هناك يضحك .

« آه ، أهذا أنت ايها العم »

قال وهو يدخل غرفتنا :

« طلب مني المارشال أن آتي لأرى بيتك » .

كان المارشال ، بعد أن ذهبت ، مهتما اهتماما عميقا بك وباخواتك ، حتى انه لم يستطع أن ينام نومة بعد الظهر .. وطلب مني أن آتي لأرى كيف تعيشين . »

ودون العم كل قطع الاثاث وأواني البيت التي في الغرفة والمطبخ ، وعاد .

وعادت أختي الاكبر في المساء الى البيت من التدريب على العرض الجماهيري وكانت تعلم . ولا أعرف كيف ، انني قابلت المارشال .

وسألتني أختي وهي تلهث :

« ... ولكني لم استطع ان اصدق ، واندفعت عائدة الى البيت . هل الخبر صحيح ؟ »

ولم استطع أن أمضي في سرد القصة التي هيأتها لاختي ، لأنها عانقتني بقوة .

وفي تلك الليلة قصصت على أختي ، وكررت عليهما كيف قابلت المارشال ونشرت أختي الكبرى ورقا ملونا أمامها من أجل أن تصنع قبعة من الزهر للعرض الجماهيري ، ولكنها لم تستطع أن تعمل به شيئا لأنها كانت مستوعبة في قصتي .

وتعلقت بي يونغ سيل ، التي هي أصغر مني بسنتين ، وسألتني :

« يا أختي هل أستطيع أن اقابل المارشال ايضا عندما اصبح بعمرك ؟ »

وقالت اختي الكبرى ، بنظرة حاسدة :

يا يونغ اوك ، ما أحسن حظك ! انني اتمنى لو استطيع ان التقي بالمارشال ..! وتمتمت وهي تنظر الى صورة المارشال كيم ايل سونغ المعلقة على الجدار .

« كيف يمكن لكل الاطفال في الجمهورية أن يلتقوا بالمارشال ؟ ان الماريشال مشغول جدا بشؤون الدولة ... ولقد كان شرفا عظيما لك ان تقابليه !. انه لحسن كما لو كنا قد قابلناه ، اليس كذلك يا يونغ سيل ؟ ولو سمعت يونغ هوي في وانسون هذه الاخبار ، فانها ستصفق من الفرح .. »

وكانت قرابة الساعة العاشرة مساء عندما سمعنا طرقة على الباب ، وسمعت أنا صوتا مألوفا .

هل يونغ اوك موجودة ؟

يا أختي انه ذلك العم ، اعني ذلك العم !

فتحت الباب بسرعة . لم أكن مخطئة . لقد عاد ذلك العم ثانية .

« حسنا ، انتن الثلاثة في البيت . لقد ارسلني المارشال في طلبكن جميعا ، دعونا نسرع .. »

ولقد فرحت يونغ سيل فرحا شديدا ، بينما أخذت اختي الكبرى تتجول في الغرفة بعصبية غير عارفة ما تفعل . ثم ذهبت الى المطبخ ، فغسلت يديها ، وبدلت ملابسها بملابس جديدة كانت معلقة على الجدار ، وكانت تنوي ارتداءها في يوم اول أيار .

وعندما توقفت السيارة التي تقلنا نحن الثلاث امام مقر المارشال خرجت كل عائلة المارشال لاستقبالنا .

وقيل لنا :

ان المارشال ينتظركن فوق . دعونا نمضي .

وعندما بلغنا منتصف الطريق على الدرج سمعنا صوت المارشال كيم ايل سونغ قادما من فوق :

« أوه ، انتن هنا ايتها الاخت يونغ اوك » .

توقفنا ونظرنا اليه .

وهبط المارشال الدرج ، وعلى وجهه ابتسامة كريمة ، وربت بلطف على رأس اختي الكبرى وكاهليها اولا وقال :

« وهكذا فانت يونغ سوك ... لا بد انه كان صعبا عليك ان تصوني بيتك بينما انت تذهبين الى المدرسة في وقت معا .. » .

وفجأة بدأت اختي الكبرى تتنهد بينما كانت رأسها في حضن المارشال ..

« لا تبكي يا يونغ سوك ، لا تبكي .. انت رأس عائلتك . ويجب ألا تبكي » ..

ومع ان المارشال طلب من أختي الكبرى ألا تبكي ، ممسدا شعرها بيده ، الا انها استمرت في التنهد .

ولقد عجبت آنذاك لماذا كانت اختي ، التي تكبرني سنا ، تبكي عندما كان المارشال يطلب منها ألا تبكي . وكنت أرقب فقط كتفيها يرتجفان ويد المارشال تربت عليهما . ولكني الان ، بعد أن اصبحت كبيرة كما كانت اختي الكبرى قبل سنتين ، بت أفهم لماذا بكت آنذاك ...

وصعدنا الدرج سوية مع المارشال كيم ايل سونغ .

وسألنا بالتفصيل ، بعد ان أجلسنا ، كيف كنا ندبر أمورنا ، رابتا على رأس كل واحدة منا .

وأجابت أختي الكبرى ، بعد ان توقفت عن البكاء في حضن المارشال ، كما لو كانت تجيب والدها الحقيقي .

وسألنا المارشال عن خططنا المقبلة :

« هل ستعشن وحدكن في المستقبل ايضا ؟ او أنتن تفضلن الذهاب الى مدرسة ايتام ؟ »

اجابت اختي الكبرى اولا ، قائلة بانها تفضل الذهاب الى مدرسة ايتام .

ثم التفت المارشال الي وسأل :

« وماذا عنك انت يا يونغ اوك ؟ »

قلت أنا ايضا بانني ارغب في الذهاب الى مثل تلك المدرسة .

وانتقل المارشال الى اختي الصغرى يونغ سيل وقال لها رابتا على رأسها :

« وانت ايضا اذهبي الى مدرسة الايتام ، مع اختيك الكبيرتين . وتستطيعين ان تنامي في تلك المدرسة منفصلة عن أختيك في الليل . ولكنك ستكونين قادرة خلال النهار ان تريهما وتتناولي الطعام معهما في غرفة الطعام عينها .. ألا يكون ذلك جميلا ؟ » .

وأحنت يونغ رأسها بحياء .

« حسنا اذن . تذهبن جميعا الى مدرسة الايتام ، وتدرسن الى الدرجة التي ترضي قلوبكن ، دون أن تقلقن على الاهتمام بشؤون البيت . انه لكثير جدا أن تعتنين أنتن ايتها الصغيرات بشؤون البيت بأنفسكن ... »

وبعد لحظة صمت أكمل الوالد المارشال كيم ايل سونغ :

« اذن دعونا نرتب الامر على هذا الشكل ، تذهبن جميعا الى تلك المدرسة بعد يوم اول أيار ، الذي يأتي بعد يومين ، بدلا من أن تنتظرن السنة المدرسية الجديدة التي تبدأ في ايلول (سبتمبر) . ولكن ماذا عن الارسال في طلب اختكن يونغ هوي التي في ونسان ؟ انكن قد تفتقدن اليها! »

وفي هذه المرة هززت رأسي انا ايضا بالموافقة .

قال المارشال :

حسنا ، دعونا نحضر يونغ هوي ايضا .

وقالت زوجته التي كانت تجلس بجانبنا موافقة : ان هذا سيكون جميلا ..

وطلب منا الوالد المارشال كيم ايل سونغ أن ننهض وقال :

دعونا نتناول طعام العشاء سوية في الطابق الاسفل. وذكرنا تكرارا اننا تناولنا طعام العشاء لتونا. ولكن الوالد المارشال وزوجته أخذانا الى الطابق السفلي .

« اقتربي من الطاولة . وانت يا يونغ سوك ويونغ أوك ايضا ... وانت يا يونغ سيل ما الذي تفعلينه ؟ اقتربي » .

وأخذنا المارشال من ايدينا وأجلسنا حول مائدة الطعام ، وقدم الاواني امامنا مباشرة ، حاثا ايانا ما بين الفينة والاخرى على أن نأكل كثيرا .

فكيف يمكن أن أنسى أبدا اللحظات السعيدة التي صرفناها نحن الاخوات الثلاث مع الوالد المارشال، والوالدة وكل أفراد عائلته حول مائدة واحدة !

وقص علينا المارشال بعد العشاء القصة التالية :

« لقد أعدتن الى ذهني ذكريات الايام الماضية . كنا نحن المغاورين نمر عبر واد صغير في جبال جانغ بايك ، بعد أن قضينا على وحدة من الجيش والشرطة اليابانيين ، عندما بلغت آذاننا صرخات أطفال من بعد ، وذهبنا الى هناك ووجدنا بنت خمس سنوات وابن ثلاث سنوات يصرخن في كوخ منعزل . وسألنا ابنة الخمس سنوات عن القضية .

فقالت بان والديها قد اقتادتهما الشرطة اليابانية ، ولم يعودا منذ ذلك الحين. وهكذا لففناهما بمعاطفنا وحملناهما معنا . وربيناهما في فيلق الاطفال ، وكبرا ليكونا من أشجع المغاورين ، يدرسان جيدا ويرميان جيدا . وعندما تذهبن

الى مدرسة الايتام ، فعليكن أن تدرسن دراسة اكثر جهدا، وأن تصبحن معتبرات ٠٠ »

وتعهدت أنا ايضا ، عندما سمعت قصته ، ان أصبح امرءا رائعا مثل تلك الاخت وذلك الاخ ٠

ولكني اليوم أشعر ، بحدة أكثر ، ان المارشال يحبنا نحن الاخوات الاربع كما أحب تلك الاخت وذلك الاخ ٠

ولعبنا ، بعد ذلك ، مع اطفال المارشال ، كما لو كنا اخوات وأخوة حقيقيين ، فتفرجنا على الكتب المصورة، وتحدثنا عن دراستنا ٠

فهبط المارشال الى الطابق السفلي وقال :

« الان يمكن لكن أن تعدن الى البيت وان تنمن ٠ انتن ايتها الصغيرات يجب أن تكن تعبات في هذا الوقت الربيعي ٠٠٠ وبالاضافة الى ذلك ، فانكن تجرين الاستعدادات لاحتفالات اول أيار طيلة النهار ، ألستن كذلك ؟ »

وأضاف المارشال كيم ايل سونغ وذراعاه تطوقاننا نحن الثلاث :

اذهبن الى المدرسة غدا ، ودعننا نحتفل باول ايار سوية في بيتنا يوم بعد غد ٠ وبعد الاحتفالات لا تذهبن الى أي مكان ولكن امكثن في البيت ٠

ورافقنا المارشال الى الرواق وقال مكررا :

وعندما تنتهي الاحتفالات انتظرن في البيت ٠ سوف أرسل هذا العم في طلبكن ٠

اعادتنا السيارة الى شقتنا بسرعة ٠ وعندما كنا نريد أن نقول وداعا للعم ، تناول رزمة كبيرة من السيارة وقال انه سيصعد معنا الى شقتنا ٠

وقال العم ، وهو يضع الرزمة في غرفتنا :

ان هذه هدية لكن من المارشال ٠

وكان داخل الرزمة كل انواع القرطاسية والبيض والتفاح واشياء كثيرة اخرى ٠

لم استطع في تلك الليلة أن أذهب للنوم ، بعد ان أطفأت الضوء وذهبت للفراش بمدة طويلة ٠ ذلك ان الحوادث التي وقعت في ذلك اليوم وزيارتنا لبيت المارشال قبل برهة وجيزة ظلت تراود خيالي ما بين الفينة والفينة٠

ومع انني اغمضت عيني فان الوجه الحبيب للمارشال كيم ايل سونغ كان يقف بوضوح امامي وصوته يرن في أذني ٠ وجعلني تفكيري في اننا سنلعب مرة اخرى في بيت المارشال يوم اول ايار ، اليوم الذي بعد التالي ، سعيدة الى درجة ان النوم لم يأتني ٠

وظننت انني كنت صاحية وحدي، ولكن أختي الكبرى التي كانت ما تزال مضطجعة التفتت نحوي وهمست :

هل أنت نائمة يا يونغ اوك ٠

ــ لا ٠٠٠

ما الذي تفكرين به ؟٠٠

ــ انني افكر بيوم اول ايار ٠ اننا سنكون ثانية في بيت المارشال ٠

ــ هل تعلمين لماذا طلب منا الرئيس أن نأتي ثانية في يوم اول ايار ؟

ــ انني لا استطيع الاجابة ٠

عانقتني اختي وقالت بصوت مختنق :

أنت تعرفين ، لقد فكر المارشال باننا سنحس بالوحدة اذا قضينا العطلة وحدنا ٠٠٠ وظن باننا سنفكر بوالدنا ووالدتنا ، عندما نرى الاطفال الاخرين ٠٠ المارشال هو ابونا فعلا !٠

كانت الغرفة معتمة ٠ ولكني كنت استطيع أن أرى الدموع في عينيها ٠

وكانت الساعة حوالي الواحدة بعد الظهرمن يوم اول ايار ، بعد الحشد الجماهيري والمظاهرة ، كنا نحن الاخوات الثلاث قد أخذنا الى بيت المارشال بسيارة ارسلت لنا ٠

كان المارشال قد ذهب لحضور احتفالات اول ايار٠

قضينا وقتا سعيدا نتمايل ونلاعب الماعز سوية مع اطفال المارشال كيم ايل سونغ ٠ وتناولنا ، بعدئذ ، طعام الغداء مع افراد عائلة المارشال ٠

ورحنا نحجل بعد الغداء مع ابناء المارشال سوية ، ممسكا كل واحد منا بيد الاخر ٠ وذهبنا الى الحديقةورأينا الازهار وشاهدنا سمك الشبوط في البركة ٠

وكانت سمكات الشبوط تهرع نحونا عندما نصفق بايدينا ٠ وكنت أنا مسرورة حتى انني كنت أصفق بيدي وأهتف : انظر ، انظر ٠٠ وحينئذ سحب ابن المارشال يدي وقال :

يا أخت ، سأحضر طعاما للسمك ، فاذا ما رميناه جاءت كل الاسماك الينا ٠

وركض حينذاك نحو البيت وعاد بيرقات دود القز الجافة ٠ القيناها واندفعت الاسماك عندئذ اسرابا ، من هذا الصوب وذاك ، وقفزت على الطعام ٠ وكان هنالك أشياء مثيرة اخرى حتى اننا أضعنا حساب الزمن ٠

ودخلت حوالي الساعة الخامسة من بعد الظهر سيارة سوداء ٠ واخبرنا اطفال المارشال انها كانت سيارة أبيهم ٠

واندفعنا جميعا الى السيارة ، ممسك كل منا بيد الاخر ٠

ولوح لنا المارشال بيديه من السيارة وهو يبتسم ، وسألنا المارشال عندما ترجل من السيارة : هل قضيتم وقتا طيبا ؟ ثم ربت على رؤوسنا وطلب منا أن نشاهد الفيلم بعد قليل ٠

وقبل ان يدخل المارشال قاعة السينما استدعانا جميعا وقادنا الى القاعة ، ممسكا بيد يونغ سل ٠

وجاءت امرأة تلبس رداء ابيض ببعض التفاح في وعاء ، ووضعت التفاح امام المارشال ٠

وبعد ان أجال المارشال كيم ايل سونغ نظره في الغرفة قسم التفاحات الى قطع حسب عدد الناس في الغرفة ٠ وبعد أن وزعها أخذ قطعة ايضا ٠

وكان الفيلم الذي قدم فيلما اجنبيا ٠ ولم تكن الترجمة مطبوعة عليه ٠

وكان المارشال يوضح كل مشهد لنا من البداية حتى النهاية ٠ وهمست ابنته في اذني :

ـ أتعلمين ، ان والدي يعمل مترجما عندما يعرض فيلم اجنبي ٠

وبعد الفيلم ، جلسنا ثانية حول مائدة واحدة مع المارشال وتناولنا العشاء سوية ٠

وقال لنا المارشال كيم ايل سونغ عندما انتهينا من تناول الطعام في ذلك المساء :

حسنا ، انني اذن سأجري الترتيبات لكي تذهبن الى مدرسة الايتام بعد غد ، فاذا ما أصبحتن هناك عليكن أن تدرسن جيدا ٠٠ عليكن أن تصبحن رائعات ٠

وحين بدأت السيارة تتحرك لوح لنا المارشال بيديه ٠٠٠ وفي تلك الليلة ايضا لم نستطع بعد ان عدنا الى البيت النوم حتى وقت متأخر ٠

ولفت اختي الكبرى في الصباح التالي التفاح والبيض والحلوى التي أرسلها لنا المارشال وقالت لي وليونغ سيل :

ـ لنأخذ الباص ونذهب هناك ٠

وسألت يونغ سيل وهي تتعلق باختي الكبرى :

ـ اين تعنين ؟

وطلبت منا اختي الكبرى أن نخرج الى موقف الباص وهي تبتسم دون أن تجيبنا ٠

تبعناها وركبنا الباص ٠ وعندما قطع الباص جسر بال دونغ طلبت منا أن ننزل منه ٠

وتبادر الى ذهني عند ذاك فقط ان قبر والدينا كان على تلة ليست بعيدة عن جسر بال دونغ ٠

وشققنا طريقنا هناك ٠ وتعرفت اختي الكبرى على موقع القبر دون صعوبة تذكر ٠ وقلت بصوت منخفض ، وهي تفتح الصرة :

ـ زرنا المارشال كيم ايل سونغ مرتين ٠٠٠٠ قال المارشال بانه سيرسلنا الى مدرسة ايتام ٠٠٠ وقال بانه سيرسل في طلب يونغ هوي ٠

وسألت يونغ سيل وهي تنظر الى أختي الكبرى :

ـ مع من تتكلمين يا أختي الكبرى ؟

وعانقت اختي الكبرى يونغ سيل ، دون أن تجيب ، ونظرت نحو وسط بيونغ يانغ في المدى البعيد ٠ وعرفت ان أختي الكبرى كانت تنظر في اتجاه مقر المارشال ٠

وانصبت اشعة شمس الصباح الربيعي في ايار على وجه اختي الكبرى ، ورفعت احدى يديها الى جبهتها ، وهي مبهورة ، وهي ما تزال تنظر في الاتجاه عينه ٠

وقالت يونغ سيل ، ملتفتة الى اختي الكبرى ثم الي ، وعيناها المستديرتان مفعمتان بالسعادة :

ـ غدا سنذهب الى مدرسة الايتام ٠٠ لقد طلب منا المارشال ان نذهب ٠٠ وطلب منا أن ندرس جيدا ٠٠ اليس الامر كذلك يا أختي الكبرى ؟

وأحنت أختي الكبرى رأسها ، وهي تبتسم ليونغ سيل ، ثم التفتت الي وقالت :

ـ يونغ اوك كم كان والدنا ووالدتنا سيسران لو انهما عرفا بذلك ٠٠

ثم حدقت في اتجاه قلب بيونغ يانغ بعيدا ٠

وأحنيت أنا رأسي ونظرت الى اتجاه مقر المارشال، واضعة ذراعي حول خصرها ٠

وفي تلك الليلة لم نبك ابدا ٠ وكنا سعيدات جدا لان المارشال احبنا محبة اعزاء واعتنى بنا ٠

وانتقلنا في اليوم التالي الى مدرسة بيونغ يانغ للايتام ٠ ذهبنا الى المدرسة الجديدة بسيارة أرسلها المارشال ٠

وكانت يونغ هوي في ذلك الوقت قد جيء بها من ونسان ٠

واخيرا أود أن أقول شيئا ٠ اننا نحن الاخوات الاربع لسنا يتيمات ٠ ان لدينا ابانا المارشال كيم ايل سونغ ، وكيف يمكن أن نكون يتيمات ؟

الدكتور عزيز صدقي يقدم روايته عن :

قصة السوفييت مع مصر

في هذا الحوار ، يقدم الدكتور عزيز صدقي روايته عن « قصة السوفييت مع مصر » ورواية الدكتور صدقي تنبع من تاريخ طويل وخبرة عميقة ، بحكم المسؤوليات السياسية والاقتصادية الكبيرة التي اضطلع بها في المجتمع المصري ، سواء تحت قيادة عبد الناصر او قيادة السادات، فقد تولى اكثر من مرة منصب وزير الصناعة ، كما تولى رئاسة مجلس الوزراء •

والدكتور عزيز صدقي من الشخصيات السياسية ، فقد قاد حركة التصنيع الحديث في مصر ، وكان له دوره الاساسي في تحويل مجتمع زراعي متخلف الى مجتمع يخطو للمرة الاولى في طريق التصنيع الصحيح ، فهو من الرجال الذين تركوا بصمات واضحة على ما انجزوه من اعمال •

هذا الحوار ، اداره مع الدكتور صدقي كتاب ثلاثة من الزميلة « الطليعة » التي تصدر في القاهرة، هم الزملاء: محمد عودة وفيليب جلاب وسعد كامل ، في اطار كتاب يصدر قريبا عن دار الثقافة الحديثة في القاهرة •

ـ التحرير ـ

البداية هادئة ••

قلنا للدكتور عزيز صدقي :

كيف ترى العلاقات السوفيتية في المجال الذي عشت كل تفاصيله ؟ هل تتعثر وتنحسر أو تنمو وتتوطد ؟ وهل هناك فائدة او جدوى من نموها ••• أليست هذه التجربة أيضا في حاجة الى مراجعة ان لم يكن تراجع ••• من زاوية المصالح المصرية الحقيقية ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقي :**

دعدنا نحدد نقطة البداية اولا وعلى شكل سؤال ايضا : هل هناك أهمية للتصنيع في ظروف كظروفنا وفي بلاد كبلادنا ؟

كان الوضع عند قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ معروفا للجميع •• مجتمع زراعي في الاساس ، اي تشكل الزراعة فيه الجزء الرئيسي من الدخل القومي • اما الصناعة فكانت متخلفة ، فيما عدا بعض النشاط الاجنبي والوطني المحدود الذي لم يتجاوز ١٠٪ من الدخل القومي المصري • وفي مثل هذه الحالة ليس التصنيع بالضرورة هو الحل دائما • فقد تسمح الامكانيات الزراعية في بلد من البلاد بعمليات تطوير وتوسع يحقق بعض اغراض التنمية الاقتصادية ، من رفع لمستوى المعيشة وتلبية للاحتياجات المتزايدة لسكان متزايدين • لكن دراسة الاوضاع الاقتصادية في مصر اثبتت ان الزراعة المصرية محكومة بموارد مائية محددة حتى بعد انشاء السد العالي • ومن ثم لم تتجاوز امكانيات التوسع الزراعي اكثر من زيادة قدرها ١٥٪ من الارض كحد اقصى • وهي زيادة يبتلعها النمو السكاني الذي يصل الى ٢٫٨٪ سنويا • اذن فلجوء الثورة المصرية الى الصناعة والتصنيع بوصفها المجال الوحيد للانطلاق في التنمية بلا حدود ، كان هو الحل الوحيد الذي لا بديل عنه لمواجهة الحاجات المتزايدة والاساسية ايضا للشعب المصري • ومن هنا كان قرار انشاء وزارة الصناعة عام ١٩٥٦ • ستتساءل ربما ـ ولماذا وزارة الصناعة ؟ لاننا لم نكن نستطيع ترك الصناعة لافراد يقرر كل منهم بناء مصنع ما في مكان ما على نطاق ضيق ، قد يكون صالحا لاقتصاد البلد وقد لايكون

اما اذا اردنا ان نقيم صناعة تساهم بدورها الملحوظ في تنمية الاقتصاد القومي فيجب ان تقوم في اتجاه محدد ومخطط • ولا يمكن تنفيذ خطة دون سيطرة ورقابة الدولة • ومن ثم صدر قانون التنظيم الصناعي ووضعت خطة خمسية للتنمية الصناعية ، وتحدد للمرة الاولى في تاريخ مصر دور الصناعة في التنمية •

ولكي نقيم صناعة بالحجم الذي يحقق اهداف تنمية حقيقية وضعنا خطة للاستثمار في حدود ٥٠ مليون جنيه سنويا • ولكي ندرك قيمة هذا الاستثمار في ذلك الوقت علينا ان نعود الى الارقام السابقة على الثورة • لقد كان الاستثمار الصناعي في مصر عام ١٩٥٢ لا يتجاوز ٢ مليون جنيه في صورة نشاط فردي يتجه في الاغلب الى المجالات الاكثر ربحا بصرف النظر عن مدى اهميتها للتنمية ، وعلى رأسها المباني وبعض الصناعات الاستهلاكية •

من الذي سيساهم اذن في توفير ٥٠ مليون جنيه سنويا، لاقامة مشروعات صناعية اساسية ، بصرف النظر عن عائد سريع او بطيء ؟

ليس هناك سوى الدولة . لكن حتى الدولة في ذلك الوقت لم تكن تستطيع توفير كل النقد الاجنبي اللازم للتعاقد على استيراد الالات والمهمات اللازمة لاقامة مصانع وتشغيلها .

... وهنا جاء دور الاتحاد السوفيتي .

ـ ولماذا الاتحاد السوفيتي بالذات ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

لسبب غاية في البساطة . وهو ان شروط التعامل مع الدول الغربية تقتضي اما الدفع الفوري او التقسيط على خمسة اعوام ، بعد دفع ٢٥٪ من الثمن اولا . ثم فائدة قدرها حوالي ٦٪ على ما تبقى من الدين .

اما الشروط السوفيتية فهي الدفع بعد مرور عام من استكمال بناء المصنع (لكي يكون الدفع من عائد الانتاج) وبأقساط لمدة اثني عشر عاما ، وبفائدة لاتتجاوز ٢ر٥٪ ، هذا هو الفرق .

وقد سافرت الى موسكو في يناير سنة ١٩٥٨ ، بعد اقرار الخطة في القاهرة ، ووقعت اول اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني ، حصلنا بموجبها على قرض قيمته ٦٢ مليون جنيه استرليني لتنفيذ مشروعات الخطة .

لا بد ان اذكر هنا ان الشروط التي تم على اساسها توقيع الاتفاقية كانت تؤكد رغبة الاتحاد السوفييتي في مساعدتنا .

كيف ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

كان تنفيذ هذه الاتفاقية هو السبيل الوحيد لانجاز الخطة الخمسية الاولى في اقل من خمسة اعوام . وبسبب ذلك النجاح قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الاخذ

بمبدأ التطبيق الشامل للتخطيط في كل مجالات الاقتصاد . وتم وضع الخطة الخمسية الاولى عام ١٩٥٩ . ودفعنا نجاح التعاون المصري السوفيتي الى مزيد من التعاون ، فتعاقدنا على قروض اخرى لمشروعات اخرى .

والحقيقة ان اختيار مشروعات الخطة الاولى كان يتناسب مع ظروفنا في ذلك الوقت كبلد يستورد كل شيء من الخارج ، ويستنزف بذلك كل موارده من النقد

الاجنبي ، فلا يتبقى منها شيء للتنمية . ومن ثم كان تفكيرنا ينصب على ضرورة البدء في تصنيع بعض السلع الاقرب الى حاجات الاستهلاك لكي نوفر النقد الذي يساعدنا على مزيد من التنمية .

وفي المرحلة التالية مباشرة ، ركزنا على تصنيع السلع الاساسية كمشروعات التعدين وتكرير البترول ومشروع الدرفلة في مجمع الحديد والصلب (وان كان المشروع الاخير قد اجل من جانبنا الى ما بعد ١٩٦٥) .

وفي كل هذه المراحل ، كما سبق ان اشرت ، لم يكن دور الاتحاد السوفيتي معنا هو مجرد بناء مصانع . كانت رغبته التي عبر عنها عمليا هي دعم الاقتصاد المصري بشكل شامل ، والا تعثرت عملية التنمية .

ولذلك فالى جانب التعاون الصناعي واتفاقية السد العالي ومجمع الحديد والصلب واستصلاح ٣٠٠ الف فدان ، اتخذت المعونة سبيلا آخر وهو الاتفاقيات التجارية

فقد فتحت لنا هذه الاتفاقيات اسواق الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية لسلعنا ، التي افادت من المنافسة بين اسواق الشرق والغرب . كما عاوننا الاتحاد السوفيتي على استيراد سلع نصف مصنوعة ، لم يكن من السهل استيرادها من الغرب .

وقد ساهمت هذه المواقف في تخفيف اعبائنا الاقتصادية وتيسير صعوبات كثيرة تحيط بعمليات التنمية بالنسبة لدولة نامية كمصر . واستطيع ان اقول ، دون اي مبالغة ، اننا بدون هذه المعونة لم يكن ممكنا ان ننجز ما تم

بالفعل . كما انه كان من المستحيل التعاون مع اي جهة غربية في هذا المجال .

ـ لكن « يقال » احيانا « اننا اقتحمنا مشروعات صناعية لا تتناسب مع قدراتنا ولا نستطيع ان ننافس فيها الدول الصناعية ، مما يعد تبديدا للجهد والمال .

● قال الدكتور عزيز صدقي :

اعرف الكثير مما يقال في هذا الخصوص . والرد الوحيد هو ان نضرب مثالا عمليا . لقد تعاقدنا مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٤ على مجمع الحديد والصلب .

وكانت قيمة التعاقد ١٥٦ مليون روبل ، أي حوالي ١٦٥ مليون دولار . وكان هذا السعر اقل بكثير من مثيله مع

أي شركة غربية . وحتى لو افترضنا انه يساوي نفس السعر الغربي ، الا اننا مطالبون في التعامل مع الغرب كما قلت ان ندفع فورا حوالي ٢٥٪ من الثمن ونقسط الباقي سنويا بفائدة ٦٪ .

لكن الاهم من ذلك هو لماذا نقتحم صناعة مثل الحديد والصلب ؟

هناك اكثر من سبب ، فمثل هذه الصناعات الاساسية الخفيفة او المتوسطة . وبدون الصلب لا تستطيع ان تصنع لا تقوم بدونها اي صناعة اخرى ، مما يسمى بالصناعات

الحقيقة او المتوسطة ، وبدون الصلب لا نستطيع ان نصنع دراجة او ثلاجة او قضبان السكك الحديدية او حديد التسليح وغيرها من الصناعات الضرورية . فاذا لم ننتجها يجب ان تستوردها . ولكي تستورد كل ما تريده منها يجب أن تكون قدراتك المالية ومن النقد الاجنبي بالتحديد اضعاف ما تستطيع توفيره فعلا . ولذلك نحن لم نقم بمغامرة غير محمودة العواقب . ويكفي ان تعلم ان انتاج المجمع بحسابات ذلك الوقت يتجاوز ١٦٥ مليون جنيه سنويا ، تستطيع ان تخصص منها جزءا للاقساط وتستخدم الباقي في مجالات اخرى للاستثمار .

وكذلك الحال في صناعات اخرى كالتعدين والبترول والاسمنت ، وكل الصناعات الاساسية للصناعات الاخرى . ان تكاليف اقامة مثل هذا النوع من الصناعات الاساسية تتجاوز عشرات الملايين من الجنيهات ، فكيف كان من الممكن ان ننفذها مع ضعف قدراتنا المالية ، اذا لم نجد العون والرغبة الصادقة لدى الاتحاد السوفيتي ؟

– اليست هذه ايضا احد اساليب التجارة الاكثر ذكاء ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقي :**

لقد سبق ان اجبت عن هذا التساؤل ، لكن لنأخذ مثالا ثانيا من نفس مشروع « المجمع » . فهذا المشروع الذي سبق ان تعاقدنا عليه عام ١٩٦٤ تأجل تنفيذه بعد ان تركت وزارة الصناعة عام ١٩٦٥ ، عندما رأت الوزارة الجديدة رأيا آخر ، وعندما عدت الى الوزارة عام ١٩٦٧ اتصلت بالاتحاد السوفيتي لاحياء التعاقد القديم . كانت الاسعار قد ارتفعت كما هو معروف ، وقالوا لي ليس من المعقول ان نتعاقد باسعار عام ١٩٦٤ . لكن بعد ان شرحت ظروفنا وافقوا على الفور . واقول بصراحة لو انهم كانوا قد طلبوا ١٠٪ زيادة عن السعر القديم لكان لهم كل الحق . اما في العرف التجاري العالمي فهناك شروط معروفة في أي اتفاقية تنص على السعر عند الاستلام . لكنهم لم يلجأوا الى هذا الاسلوب معنا ، مما يجعلني اؤكد ان الامر بالنسبة للاتحاد السوفيتي ليس « صفقة » يحقق فيها ربحا ، كما انه لم يقدم قرضا من اجل الحصول على « مقاولة » السد العالي مثلا . ان اي تصوير لعلاقتنا مع الاتحاد السوفيتي بهذا الشكل ليس مجرد تجني ، ولكنه سخف .

ومن جانبي على الاقل لم احس في اي وقت ان تعامل السوفييت معنا كان يستهدف في أي وقت ربحا او استغلالا او اي كسب من أي نوع .

– ربما لان الالات والخبرة السوفيتية متخلفة ... وليست رائجة في الاسواق العالمية ؟

● **قال الدكتور عزيز صدقي :**

الذين وصلوا الى القمر لا يعجزون عن عمل شيء . والى الذين يتحدثون عن تخلف الالات السوفيتية ، أضرب مثلا من الهند . لقد أقامت الهند ثلاثة مصانع للحديد والصلب بالتعاون مع المانيا الغربية وبريطانيا والاتحاد السوفيتي . ومنذ البداية ، وحتى الان ، يعمل المصنع السوفيتي بكفاءة كاملة . اما المصنعان الاخران فقد تعثر تشغيلهما منذ البداية وحتى الان . ولماذا نذهب بعيدا . ان مصنعنا للحديد والصلب الذي انشأته شركة « ديماج » الالمانية الغربية لم يعمل بكفاءة منذ تشغيله . وقد استدعيت بعض الخبراء الامريكيين واقاموا هنا لمدة عام كامل لكي يساعدوا في تشغيل « الفرن » ولكنهم لم ينجحوا في رفع كفاءة التشغيل ولو بمقدار طن واحد .

واخيرا احضرنا خبراء من الاتحاد السوفيتي فارتفع الانتاج ، خلال سنة الى طاقته الكاملة . هذه هي الخبرة السوفيتية ، واليكم ايضا مجمع الحديد والصلب الذي يعمل بطاقته الكاملة دون اي مشاكل .

ان الحديث عن تخلف الصناعة والخبرة السوفيتية ليس سوى دعايات غربية ، ومن المفروض ان نكون قد تجاوزنا هذه المرحلة .

– لكن لا بد ان يكون هناك سببا او اسبابا لهذه المساعدة .

● **قال الدكتور عزيز صدقي :**

هناك اسباب بالتأكيد لكنها ليست ما « يشاع » . ان مبدأ مساعدة الدول المتحررة على بناء اقتصادها وتطويره بشكل مستقل هو احد مبادىء السياسة السوفيتية . هناك اتفاق في المبادىء اذن . انهم يساعدوننا بوصفنا دولة وطنية تقدمية تحاول تنمية نفسها وتؤمن بالاشتراكية بالصورة التي تطبقها بها وتحارب الاستعمار .

وكل هذه المبادىء تعد من اصول السياسة السوفيتية . وهذا هو المدخل الاساسي للتعاون معنا . ولذلك أقول ان العلاقات اليست من النوع المؤقت ، وليست مجرد تقديم قرض او قروض تنتهي بعده العلاقة . وحيث ان العلاقة قائمة على اتفاق المبادىء والرغبة في التعاون قد اثبتت لها .

ولكي نطبق معنى الاتفاق في المبــادىء ، عمليا ، يمكن ان نضرب مثالا بالصناعة · ان أهمية تقديم المساعدة السوفيتية للصناعة المصرية تنبع من ان الصناعة هي القاعدة التي قامت عليها الاشتراكية في مصر · وبدون الصناعة الضخمة لم يكن من الممكن ان تقوم بالتطبيق الاشتراكي · واذا كنا نقول ان الاشتراكية هي احد المبادىء التي نريد تطبيقها في بلادنا لانها تحقق الكفاية في الانتاج والعدالة في التوزيع ، فمساعدة الاتحاد السوفيتي كانت سبيلا ووسيلة لتحقيق هذا الهدف ·

ولقد ادت المعونة السوفيتية في الصناعة ، ايضـا ، الى توسيع القاعدة العمالية المدربة والفنية ، بشكل لا يمكن مقارنته بما كنا عليه قبل التصنيع · وهذه القاعدة ليس لها مثيل في الحجم والنوع في اي دولة من دول الشرق الاوسط وافريقيا · وهو نجاح نعتز به · اما الدور الذي قامت به الصناعة المصرية في الاقتصـاد وفي الصمود وفي الاستعداد للقتال فيكفي الاشارة الى ما اكده الرئيس السادات حـول هذه المسألة ودور الصناعة في صمود شعبنا وجيشنا قبــل وبعد السادس من اكتوبر ·

واذا كانت صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي واتفـاق المبادىء والرغبة في التعاون قد اثبتت قيمتها في الصناعة فلا يعني ذلك ان الصناعة هــي المجال الوحيد · فمــن الصناعة الى الزراعة الى السد العالي واستصلاح الاراضي الى المعاونة بطريقة اصيلة في تدعيم قدراتنا على تحريـــر اراضينا ·

ان العبور الذي تم في ٦ اكتوبر ببطولـــة الجنـــود وشجاعة القيادة السياسية والعسكرية لم يكن ليتم بـدون الاسلحة والدعم السوفييتي · انني استطيع أن أقول هـذا الكلام لانني كنت طرفا في جميع الاتفاقيات التي تمت في هذا الشأن ، واعلم مدى الاستجابة والمساعدة التي قدمها الاتحاد السوفييتي ·

ــ ما هو الحجم الحقيقي لما أنجزناه من تصنيع بمساعدة الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

لقد تضاعف حجم الصناعة المصرية منذ عام ١٩٥٣ حتى الآن ثماني مرات · أي ان مـا لدينا الان يصـل الى ٨٠٠٪ مما كان لدينا في ذلك الوقت · ان الانتاج الصناعي المصري يقدر بحوالي ٢٧٠٠ مليون جنيه · وهذا يعني ان هناك سلعا تنزل الى الاسواق المحلية ، ويصدر بعضها الى الخارج ، وتصل قيمتها الى الرقم الذي ذكرته · وهذا يعني أيضا ان هذه السلع تستهلك ، لان الشعب المصري بمختلف فئاته في حاجة اليها · وبذلك أغنتنا التنمية الصناعية عن استيراد سلع بنفس القيمة ، لم يكن من اليسير تدبير النقد الاجنبي اللازم لاستيرادها · ومن هنا نستطيع القول دون مبالغة ، ورغم كل ما يزال ينقصنا ، ان الاقتصاد المصري أصبح يعتمد ، في المقام الاول ، على انتاجه الذاتي ·

ــ ألم يحدث ان استغل الاتحـــاد السوفييتي حجم معوناته لفرض أسلوب معين في تخطيط اقتصادنا او صناعتنا ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

لم يحدث هذا على الاطــلاق · ولم يتدخـل أحد في خطتنا · لقد كنا نضع الخطة الخاصة بنا ، ثم نذهب اليهم ونقول : هذه خطتنا ونريد المساعدة على تنفيذها ·

وفي أحيان كثيرة لم يكتف السوفييت بتقـديم مجرد المساعدة على بناء المصانع ، كما سبق ان ذكرت · ولكنهـم يبادرون بحل ما يعترضنا من عقبات لا تدخل مباشرة في عمليات التصنيع · وأضرب لذلك مثلين : الاول يتعلق ايضا بموضوع مجمع الحديد والصلب · فقد كان اتفاقنا حـول انشاء المجمع يبدأ بمشروع « الدرفلة » اولا (والدرفلة تعني تحويل « بلاطات » الصلب الضخمة الى صفائح مختلفة السمك) · وبسبب تأجيل المشروع الاساسي من جانبنا فقد انتهى العمل في مشروع «الدرفلة» قبل تشغيل «الفرن» الذي ينتج بلاطات الصلب · وكان يلزم لتشغيل الدرفلة ٣٠٠ الف طن صلب والا توقف العمل ، ولم يكن في مقدورنا ان نستورد الصلب (٣١٠ دولارا للطن في ذلك الوقت) فوافق الاتحاد السوفيتي على توريد الصلب على أن يتقاضى الثمن بعد الانتاج ·

والمثال الثاني يتعلق بمصنع المطروقات، وهو المصنع الذي يدخل انتاجه في صناعة الموريات والتراكتورات · فقد كان لدينا فائض انتاج في هذا المصنع · وعندما عرضت على السوفييت أن نصدره لهم وافقوا على الفور · ونحن نصدر اليهم حاليا بعض انتاج مصنع المطروقات في حلوان كأجزاء من التراكتورات التي تصنع في الاتحاد السوفييتي ·

ولا شك أن هذا نوع من المساعـدة بالنسبة لنا · فهم يعاونوننا على بناء وتشغيل المصانع ثم يتبادلون الخبرة معنا ، رغم أن خبرتهم الصناعية تسبقنا بالتاكيد · ولست هنا في مجال الدفاع ، لان هذه حقائق معروفة وواضحة ·

ــ الم يتعثر التعاون الصناعي مع الاتحاد السوفييتي أو يتاثر بسبب بعض الازمات السياسية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

بالنسبة لي في مجـال الصناعة لم يحدث · ورغـم ماحدث من سوء تفاهم سياسي عام ١٩٥٩ ، فقد واصلت التعاون معهم في مجال الصناعة ، دون أي تأثر بالازمـة العامة · ويومها امتدح الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا التصرف لانني لم أجعل للوضع السياسي في ذلك الوقت أي أثر على استمرار التعاون ·

واستطيع أن أقول ان الامر لم يقتصر على عدم وقوع أزمات ، لكن التعاون كان في نمو مستمر • وذلك الى درجة أن اقترحت عليهم عام ١٩٧١ (وكنت عضوا في وفد المباحثات في موسكو) موضوع التكامل الاقتصادي بيننا • وقد لاقى الاقتراح اهتماما غير محدود من القادة السوفييت •

ـ على أي أساس يتم هذا التكامل ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

لقد وصلنا الى درجة من التعاون تسمح بأن نتجاوزها الى مستوى أبعد • بمعنى أن الاتحاد السوفييتي يعطيني ما أطلب من المصانع، بحيث انتج أكثر من حاجتي وأصدر له باقي الانتاج • أو أصدر له كل الانتاج في بعض السلع التي لا أحتاجها بما يتفق مع حاجته هو لهذا الانتاج • وبذلك فهو يلبي حاجاته ويساعدني في نفس الوقت على تكثيف عملية التنمية الاقتصادية في مصر •

وقد جاء الى مصر وفد سوفييتي، وتوصلنا الى اتفاق حول بعض المشروعات ، على أن يصدر لنا الاتحاد السوفييتي الآلات والمصانع لنعيد نحن تصدير كل الانتاج له • وهذه مرحلة متقدمة عن مجرد القروض وبناء المصانع • وقد ضربت مثالا لذلك بمصنع الخزف والصيني • فبدلا من أن يقيم الاتحاد السوفييتي مصنعا لانتاج الخزف والصيني يقدم لي الآلات والمعدات لتوسيع مصنعنا ،مقابل أن التزم بتصدير كمية معينة من الانتاج الى الاتحاد السوفييتي • وهذا هو أحد أوجه التكامل والتخصص وعدم تكرار الصناعات هنا وهناك • وبذلك أضمن الحصول على الآلات والمصانع دون قروض ويضمن هو استكمال السلع اللازمة لخطته •

وبالمثل أثرنا معهم مشروع فوسفات «أبو طرطور» • فقد عرضنا عليهم أن ينفذوا المشروع لدينا مقابل بعض انتاج الفوسفات • وذلك بدلا من أن يستوردوا الفوسفات من مناطق أخرى ، وبدلا من أن أحصل على قرض لتنفيذه • وللاسف تعطل المشروع لاسباب أخرى ، وهو يبحث الآن من جديد •

ـ •• لكن هل يعني هذا انه ليس هناك بديل عن عن الاتحاد السوفييتي اذا اردنا تصنيعا حقيقيا ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

يجب أن نكون واضحين • ليس هناك شيء في العالم ليس له بديل • لكننا نستطيع أن نقول ان الاتحاد السوفييتي ، كان وسيظل ويجب أن يظل ، أساسيا بالنسبة لامكانية التصنيع بالصورة التي نأملها للنمو الصناعي في بلادنا • لان المسألة ليست بالبساطة التي قد يتصورها البعض • فكلما تقدمنا من مراحل التصنيع تنفتح أمامنا امكانيات صناعية لم تكن ممكنة أو متصورة قبل النمو الصناعي • نحن نبدأ أولا بصناعة السلع الاستهلاكية ثم نتدرج في الصناعات حتى نصل الى الآلات الثقيلة والمعقدة • وكلما دخلنا مرحلة من هذه المراحل ، كلما زادت حاجتنا الى استثمارات هائلة وخبرة كبرى • اذن فتقدمنا في مراحل التصنيع يستدعي الحصول على مساندة من دولة صناعية متقدمة وذات امكانيات كبيرة ولديها الرغبة في اقامة الصناعة لدينا •

ولا مفر أيضا من أن نذكر امثلة عملية تتعلق بدولة كبرى كالولايات المتحدة الامريكية • كان الرئيس الراحل عبد الناصر يعرف أحد مديري البنك الدولي وهو أمريكي اسمه «وودز» • وكان وودز من الشخصيات الصريحة الواضحة مما أكسبه ثقة عبد الناصر • وجاء وودز يوما الى القاهرة والتقى بالرئيس الراحل عبد الناصر حيث ناقشا امكانية مساهمة البنك الدولي في عمليات التنمية في مصر • وبعد اللقاء حدثني الرئيس عبد الناصر تلفونيا وقال لي بالحرف الواحد : «أنا كان عندي دلوقت مستر وودز من البنك الدولي وقال لي ريح نفسك ولا تطلب منا قوضا للصناعة ، لانه ليس من سياسة البنك الدولي أن يساعد دولة كمصر على التصنيع ، لان سياسة البنك محكومة بسياسة الولايات المتحدة الامريكية • وسياسة الولايات المتحدة الامريكية لا تشجع على معاونة الدول النامية على التصنيع» • وأضاف عبد الناصر • «أمامك الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية ، ولا تضيع وقتا مع غيرهم» •

اذن فليس المهم أن تتوافر الخبرة والقدرة لدولة ما لكي تساعدنا على تصنيع بلادنا • المهم أن تتوافر لديها الرغبة في المعاونة • والا يتعارض هذا مع سياستها ، خصوصا اذا كانت ظروفنا لا تسمح بأن نقدم لهم اغراء ماليا مقابل الآلات والمصانع والخبرة • وهذا هو الذي يجعل صورة التعاون مع الاتحاد السوفييتي تختلف عن غيرها •

ومع ذلك فنحن نتعامل أو نحاول أن نتعامل دائما مع العالم كله • وانا لا أستطيع أن أقول اننا لا نقيم مصانع الا مع الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية، وانه حتى الاتحاد السوفييتي لايستطيع أن يعطينا كل شيء أولا، ثم هناك أنواعا من الصناعات تمتاز بها دولة معينة ، ثانيا •

واذا كنت في حاجة الى مثل هذا النوع واستطيع أن أحصل عليه بشروط معقولة ، من السويد مثلا أو غيرها، فنحن لانغلق الباب •

ان أي امكانيات تضاف الى قدرتنا في التوسع الاقتصادي نرحب بها • و «الانفتاح» الاقتصادي يلقى ترحيبا طالما كان في اطار مبادئنا وقوانيننا ومصلحة مصر، وبنفس الشروط نرحب بأي أموال عربية تساعدنا على التعاقد مع أي دولة في أي مكان •

ـ يتردد احيانا بعض الحديث عن ضرورة وجود «توازن» في علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي بنفس القدر ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

من أين يأتي التوازن؟ هل في الصناعة فقط؟ التوازن يجب أن يأتي في كل الاوضاع • وانا لا أستطيع أن أحكم على الامور اذا لم تتجاوز نظرتي موقع قدمي • ان لنا تاريخا طويلا في التعامل مع الغرب والولايات المتحدة في

جميع المجالات . وعندما قامت الثورة فتحت الباب للتعامل مع الولايا تالمتحدة في أغلب الاوقات . ولا يجب أن ننسى انه عندما أراد عبد الناصر أن يسلح الجيش لجأ أولا الى الولايات المتحدة الامريكية.وسافر يومئذ علي صبريوظل حوالي سبعة شهور في أمريكا ينتظر تنفيذ الاتفاق دون فائدة . ومن ثم لجأنا الى تشيكوسلوفاكيا عنطريق الاتحاد السوفييتي .

وهناك مسألة السد العالي أيضا ، فقد لجأنا الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وتم الاتفاق معهما، ثم تراجعوا عن الاتفاق لاسباب سياسية . لم نكن نحن اذن الرافضين، ولكن هم الذين سحبوا العروض وتراجعوا عن الاتفاقيات.وبعدهاأممعبد الناصر شركة قناة السويس وتم تمويل السد العالي عن طريق الاتحاد السوفييتي .

ومن هنا فنحن لا نلقي احكاما مجردة ولكننا نستمد احكامنا من واقع تجاربنا وخبراتنا . ومن هذا يتضحأن مجال التعاون مع الولايات المتحدة الامريكية تحكمه اعتبارات أمريكية تتعارض مع مصالحنا.ولو أن الولايات المتحدة اتخذت موقفا آخر لما كانت هناك عقباتمنجانبنا. ذلك أن أساس مواقعنا هو مصلحة مصر اولا وأخيرا .

لكن الامر لا يقتصر على ذلك بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية . هناك المشكلة الاساسية ، وهي صراعنا مع اسرائيل .

ما هو موقف الولايات المتحدة من هذا الصراع ؟ هل كان مؤيدا للحق العربي ؟

وماهونوع السلاح الذي قتلبهالاسرائيليون أبناءنا؟ أليس هو السلاح الامريكي ؟ ومن الذي دعم اسرائيل بالجسر الجوي المعروف أثناء معارك اكتوبر ؟ وفي نفس الوقت كان الاتحاد السوفييتي يعاوننا ويساندنا ويرسل لنا الاسلحة ... ربما لم نأخذ كل ما نريده ، وهذا موضوع لا أعرف تفاصيله،لكنه كان يعاوننا . وكان العون بالقدر الذي مكننا من تحقيق انتصار ٦ اكتوبر وكمواطن مخلص لمصلحة مصر لا أستطيع أن أوازي أو أسوى بين الموقفين. وهذه هي صورة التعاون على مدى ٢٠ عاما أو أكثر . فما الذي يجعلني أغير الصورة ؟ ربما المستقبل ..

لكن هذا موضوع آخر .

أما اذا نظرت للتجربة مع الاثنين ، فانني أرى الاتحاد السوفييتي دائما في موقف الصديق ، اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . بينما الولايات المتحدة كانت تقف دائما ضد محاولاتنا لتنمية بلادنا أي اقتصاديا ، وضد أهدافناأيسياسيا وكانت تحاربنا عن طريق امداد أعدائنا بالسلاح والمال .

انني أتساءل:هل كانت اسرائيل تجرؤ علىالعنجهية ومواصلة العدوان بدون المساندة الامريكية ؟

ان قادة الكونجرس يتصدرون المظاهرات المعادية للعرب وللشعب الفلسطيني ، قبل وبعد ذهاب الوفد الفلسطيني برئاسة ياسر عرفات ، الى الأمم المتحدة .

ولذلك لا أستطيع أن أقول أن هناك توازيا ، الا اذا تغيرت الامور وأصبح هناك توازيا فيالسلوك . وهذا مالا أتبينه حتى الآن . وربما كان السبب أن أهدافنا لاتتفق مع أهداف الولايات المتحدة . فنحن نقول ان من أهدافنا محاربة الاستعمار ... ولما كانت أمريكا هي الاستعمار ، اذن فهناك تناقض بيننا . لكن اذا عدلت أمريكا عن سياستها يتغير الموقف طبعا .

هذه هي الامور ببساطة وكما هي في الواقع ، بدلا من أن نعقدها بمتاهات نظرية وفكرية .

سؤال أخير : كيف يمكن أن نتجنب ما يحدث من عثرات أو أزمات في طريق العلاقات المصرية السوفييتية ؟

● قال الدكتور عزيز صدقي :

اعتقد أن السبب المباشر للازمات ربما كان راجعا لحرصنا أو رغبتنا في الاسراع بالمعركة. وربما كنا نطلب أحيانا أشياء من الاتحاد السوفييتي ، ولسبب أو لآخر لم يستطيع أمدادنا بهافيالوقت الملائم ، مما اعطانا الاحساس بأن الاتحاد السوفييتي ربما لا يرغب في مساعدتنا .

والحقيقة أن هذا الموضوع أثير في مباحثاتنا مع القادة السوفييت . وكان ردهم أن «قرار المعركة خاص بكم ، ونحن نطلب منكم شيئا واحدا وهو الا تدخلوا المعركة الا اذا كنتم مطمئنين لكسبها ١٠٠٪ ، لان أي هزيمة أخرى ستكون قاضية» . هذا هو الموقف المتكرر لهم عند اثارة الموضوع.ومن المحتمل أن يكون تلهفنا نحن الى الاطمئنان الكامل قبل دخول المعركة دفعنا لان نطلب أسلحة كثيرة جدا، مما ينضحمنكميات الاسلحة والعتاد التي استخدمت في المعركة فعلا . ومن المحتمل أن هناك اعتبارات أخرى لدى الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت.فأحيانا كان يعطينا ما نطلب ، وأحيانا لم يعطنا وأحيانا كان يقول أنهذا النوع بالتحديد ليس متوافرا لديه .. الخ .

وربما خلق هذا بعض سوء الفهم . لكن اعتقد أن ما حدث في اكتوبر والجسر الجوي الذي أقامه الاتحاد السوفييتي لمساندتنا وموقفه بعد ذلك ، كاف لأن ينهي هذا النوع من سوء التفاهم .

انني لا أرى مواقف او أسباب أخرى لسوء التفاهم. لانه ليس هناك تناقضات في مواقفنا . فهو مؤيد لحقنا السياسي في المجال العالمي على طول الخط، ومؤيد لجهودنا من أجل التنمية الاقتصادية على طول الخط ، وقام بمساندتنا عسكريا مما لعب دورا في تحقيقنا للانتصار ، لم يكن ممكنا بدونه .

ومن أجل هذا لا أرىأنهناك تناقضا يبرر استمرار الاختلافات بيننا وبين الاتحاد السوفييتي .واذا وقع مثل هذا الخلاف بين الاصدقاء ــوهذا طبيعيــ فيجب أن يظل من الامور الثانوية التي لا تؤثر على استمرار الخط الاساسي في علاقاتنا .

وليس هذا من قبيل التبسيط للامور ، ولكن لانه ــ كما يتضح في حديثي ــ فقد حصلنا ، وما زلنا نحصل، وسنظل في حاجة باستمرار الى التعاون المستمر والمتزايد مع الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية .

من الأرشيف

مكتبة براتسلافا الجامعية

تحتفظ المكتبة الجامعية في براتسلافا في خزاناتها بمليونو٣٥٠ الف كتاب أدبي ودورية تشيكية وسلوفاكية وأجنبية واسطوانة وشريط تسجيل وغير ذلك من الوثائق٠

وتاريخ المكتبة الجامعية في براتسلافا هو في الواقع تاريخ الشعوب التي تعيش في اراضي الجمهورية الاشتراكية التشيكوسلوفاكية ٠ والتاريخ الرسمي لتأسيس هذه المكتبة هو عام ١٩١٩ ٠ ففي هذا العام تأسست المكتبة الجامعية الجديدة ٠ ولكنها كانت مع ذلك امتدادا «لمكتبة اليزابيث» التي أطلق عليها هذا الاسم منذ تجميع مجموعات الكتب التي كانت تضمها اصلا مكتبة الجزويت ومكتبة البلدية القديمة وكتب اكاديمية القانونيين٠وتؤكد نتائج الابحاث التي أجريت مؤخرا ان ما قدمته هذه المكتبات القديمة الى رصيد المكتبة الجامعية من الكتب والوثائق يعد هو أثمن وأهم ما تضمه من كتب ووثائق ٠ ومن الحقائق التي اكتشفت أيضا أن ٦٦٦٧ مجلدا من الكتب التي جاءت من مكتبة الجوزيت المذكورة كانت أصلا ضمن مكتبة ترفانا الجامعية التي صفيت في عام ١٧٧٧ ٠ وكان قد تم توزيع ما تملكه جامعة ترفانا من الكتب الى ثلاثة أجزاء ، نقل أحدها الى جامعة بودابست والثاني الى أكاديمية رجال القانون بينما وزع الجزء الثالث على المهتمين في المنطقة المحيطة بترفانا «بقرب سلوفاكيا» ٠ وكانت النتيجة التي أسفرت عنها هذه الأبحاث انه ينبغي الرجوع بتاريخ تأسيس المكتبة الجامعية الى عام ١٦١٠ ، وهو التاريخ المسجل على الكتب الاولى التي كانت ضمن كتب المكتبة التابعة لجامعة ترفانا ٠

كنوز المكتبة الثمينة :

وتضم المكتبة الجامعية ايضا مجموعة ثمينة جدا تتكون من ١٣٠٠ مخطوط و ٥٠٠ مجلد من أوائل الكتب المطبوعة و ٢٨٠ مجلدا من المخطوطات العربية والفارسية والتركية ، ومن الكنوز المثينة أيضا التي تضمها المكتبة المخطوطات القديمة لاساتذة جامعة ترنافا وهي في ١١٢ مجلدا ٠ وهذه المخطوطات والكتب التي يرجع تاريخها الى بداية ظهور الطباعة ، ذات قيمة ثقافية بالغة ٠ ولهذا فقد حفظت بعناية شديدة ووفرت لها كل الظروف التي تكفل حمايتهما ٠ ولكن من الضروري بين الحين والآخر القيام بعمليات ترميم لهذه المجلدات ٠ ويعهد بهذا العمل الى اتلييه الفنون التطبيقية في هودوفين «بجنوب مورافيا» حيث يشرف على هذا العمل خبير التجليد لادسلاف كولاريك وقدرة ومهارة هذا الخبير لا حدود لها ، الامر الذي يؤكد انه كان أحد الخبراء العالميين الذين استعانت بهم ايطاليا لترميم الكتب القديمة التي اتلفها الفيضان في مدينة فلورنسا والتي انقذت بعد انحسار المياه٠

سنوات الازدهار :

لم تعرف المكتبة الجامعية في براتسلافا ازدهارا ، طيلة تاريخها مثل ذلك الذي عرفته في السنوات الاخيرة ٠ ففي ظل الجمهورية الاولى لم تكن الزيادة السنوية في عدد الكتب تزيد عن ستة آلاف كتاب ، أما في السنوات العشر الاخيرة فكان متوسط الزيادة ٥٠ ألف كتاب لقد كانت المكتبة تحتوي في عام ١٩٤٥ على ٢٤٨ر٥٠٠ وهي تضم الآن مليون و ٣٥٠ الف كتاب وهي كمية من الكتب لو رصت واحدا بعد الآخر لبلغ طولها حوالي ٣٠ كيلو مترا ٠٠ وقد فرض هذا الازدهار المزيد من الاعباء، من هذه الاعباء مثلا اعداد خزانات جديدة للكتب ٠٠ هذا مع العلم بأن المكان المتاح سينفذ بعد عامين أو ثلاثة ٠ وأصبح السؤال المطروح الآن هو : كيف نتصرف عندئذ ! ومن الحلول المقترحة اعادة النظر في الكتب واستبعاد تلك التي بنيت ولم تعد صالحة للاستعمال لقدم المعلومات الواردة فيها ، على أن توضع الكتب المستبعدة في مبنى خاص يبنى لهذا الغرض ٠ وهناك حل آخر يطالب باستخدام الميكرو فيلم والفيشات المصغرة،اذ يمكن تصوير عدد من الصفحات يتراوح بين ٢٨٠ و ٢٠٠٠ صفحة على فيش مصغر لا تزيد مساحته عن ٥ر٧ × ٥ر١٢ سم ، ويمكن أيضا اعادة نسخ هذه الصفحات بصورة ترتفع بمستوى العمل ٠ وفضلا عن هذا ، فان الحجم الذي ستشغله هذه الفيشان الصغيرة سيقل عن عشر حجم الكتب الاصلية ٠

وتنوي ادارة المكتبة أن تستخدم في وقت قريب الميكرو فيلم وخاصة في مجال الدوريات التي تصل من كافة انحاء العالم والتي لا تتناسب الاستفادة منها بالحجم الذي تشغله في خزانات المكتبة ٠

ويعمل بالمكتبة الآن ٢٠٠ شخص ، ربعهم من الحاصلين على مؤهلات جامعية ٠ وتشكل المكتبة في مجموعها نظاما من الاقسام المرتبطة ببعضها البعض ، وقاعات الدراسة وأماكن المعمل العلمي ، تشترك جميعا في القيام بمهمة الحصول على المعلومات وتوزيعها واعداد القوائم والدراسات المنهجية ٠٠ الخ ٠

وستنظم المكتبة الجامعية في عام ١٩٧٤ سلسلة من المعارض ترتبط ببعض المناسبات التاريخية والعلمية ففي بداية العام الحالي نظمت المكتبة معرضا تحت عنوان «تراث ف٠١٠لينين» كما ستنظم معرضا كبيرا عن «الموهبة الوطنية السلوفاكية في الادب» بمناسبة مرور خمسين عاما على هذا الحديث التاريخي ٠ في سبتمبر القادم تنظم معرضا آخر بمناسبة الذكرى الثلاثين لهبة واسو ٠ والى جانب هذا كله ستقوم المكتبة بتنظيم معارض أخرى للمؤلفات العلمية في الدول الاشتراكية تتيح للزوار أن يتعرفوا على أحدث الكتب العلمية التي صدرت في هذه البلاد٠

رسائل الأصدقاء

الشاعر المجاهد مدحة عكاش

تحية الاخاء والاكبار لشخصك الحبيب .. وبعد :

ان الجهاد والمجاهدين نماذج وانواع كثيرة :

في الحقل .. فلاح يحيل الجفاف خضرة وخصوبة ، والتربة ايكة .. جهاد ..

وفي البحر .. ملاح يصارع الامواج الهادرة، والرياح الصارة ، ليصل الى شاطىء السلام ، بسلام ، جهاد .

في المعمل ... عامل يحيل الظلام نورا ، والجماد متحركا .. جهاد ..

وفي الخندق .. جندي يتحدى الموت والخوف ، ويهزأ بقسوة الحياة ، يصون الحدود ، ويحمي الديار .. جهاد.

اديب يسفح روحه على صحائف القرطاس لتستحيل نورا في دروب الحياة المعتمة .. مجاهد ..

غير ان من يكتب لهؤلاء ، وعن هؤلاء ، من يرسم لهم لوحات الحق والخير والجمال ، ينتصر على الصعاب مهما عتت ، ويجعل من « الثقافة » حقلا للفلاح ، خصبا ، وشاطئا للملاح ، امينا ، وخندقا يجد فيه الجندي الملاذ الامين .. ان هذا النموذج الرفيع ـ للمجاهدين .. مجاهد جليل .. انه : مدحة عكاش .. الشاعر الاديب الذي جعل من « الثقافتين » مشرقا للاقلام الحرة ، ونبعا دفاقا يسقينا عذب المياه دون من ولا تعال ..

فباسم كل قلم حر ..

وباسم كل شاعر واديب ـ وايماني انهم جميعا معي في مشاعري ـ أشكر لك جهادك الفكري الكبير ،

والخلود « لثقافتنا » الحرة ، الناهضة ، الخصبة ، بعطاءات الفكر والفن والحياة .

سلمية

اخوكم : اسماعيل عدره

الاديب الناهض

الاستاذ مدحة عكاش المحترم

اهدي اليك باقة ورد عراقية ومعها تحيات ادباء وشعراء الرافدين الذين يكنون لك حبا وودا لا يضاهى .

اخي الاستاذ الاديب

ان الاستمرار في خدمة الادب العربي هو استمرار في الوطنية وفي الدفاع عن بلاد الضاد ،

فالاعلام الذي وضعته على كاهلك في دفع الحركة الادبية السورية ، والفكر في الوطن العربي، لحري بالتقدير العالي والوقوف باجلال والاكبار اتجاه شخصيتكم الكبيرة ،

ان العلماء والادباء ورثة الانبياء حقا ، ولله در الاستاذ الكبير المرحوم محمود تيمور في احدى رسائله إلي يقول :

« هؤلاء هم رجال العروة الوثقى » .

فهنيئا لكم في عملكم الانساني ، والف الف تبريك

لادباء بردى الميامين في وقوفهم معك والى الابد

كركوك : توفيق حسن العطار

حول « حزن حتى الموت »

الاستاذ فاضل السباعي

تحية طيبة وبعد . يحق لي ، بعد قراءتي الثالثة لكتابك الجديد « حزن حتى الموت » ان اعتبره خطوة جديدة في أدبك ، من ناحية الشكل كما هو من ناحية الموضوع . ولا أغامر اذ أقول انه يعتبر خطوة جديدة في تاريخ القصة القصيرة في الادب العربي الحديث . فأنت قريب جدا ، في بنائك ، القصصي ، من الرواية الحديثة : فلا زمن ، ولا مكان ، ولا أشخاص عاديين (يوميين) كما نرى في الرواية الحديثة التقليدية . ولكن هذا لا يمنع ، ونحن نقرأ هذا الكتاب القيم ، من أن نفكر بكافكا وجويس وغيرهما ممن غادروا جدران سجون الرواية التقليدية، وعندما أقول الرواية التقليدية أقصد بلزاك ، ستندال وزولا من الفرنسيين .

« كافكا » ، في كل كتبه ، غاير الشكل المعروف للبناء القصصي . فنحو هدف أكثر تواضعا واكثر بعدا تتوجه جهود ابطاله . وما يهم ابطاله هو ان يصبحوا ـ فقط ـ في

عيون الذين ينظرون اليهم مع كثير من الحذر ، ربما ليس أصحابهم ، ولكن مواطنيهم • وانت كذلك ، فبتحررك من البناء التقليدي مكنت ابطالك من التحرك بشكل ما كان ليتم لو لم تنسف مقومات رواية بلزاك وزولا • وانك مثل كافكا ، حين أهملت الاسم وجعلت من الحرف « م » او «ن» تعبيرا مطلقا يستوعب كل من يقرأ الكتاب • وهاتان خصيصتان نراهما عندكما انتما الاثنين •

على أني لا أريد أن أبالغ فأقول : انك في مغايرتك، أو في ثورتك المجددة هذه على الشكل التقليدي ، قد بلغت مبلغ « ناتالي ساورت » ، مثلا ، أو «ميشيل بيتور» او « ألان روب غرييه » •

أما الموضوع ••• أليس هو « الامنية » ؟ أليس هو هذا الانسان المشاكس العنيد الذي صمم منذ وجوده على الدفاع عن حريته ؟ أليس هو هذا الكائن المرصودوالمشكوك فيه ؟ أليس هو هذا المتهم ؟••• أمام كل هذا لا نستطيع أن ننسى كافكا • الا أننا قد نخمن بأنك ، في أقاصيصك هذه ، « رجل سياسة » ، من يدري ؟ فقد قيل أخيرا عن كافكا ان كل ما كتب انما كان في سبيل غرض سياسي! ولكن قد تكون أنت غير ذلك — وهذا ما أعتقده — لان النظرة السياسية الى مواضيعك تحجب عن الكتاب أفقه الانساني الرحيب ، الذي أحسه ويحسه كل انسان يتوق كما تتوق أنت ، ويحلم كما تحلم أنت ، ويتمنى كما تتمنى أنت •

واذا أردنا أن نزيل الشبه بينك وبين كافكا ، فاني لا أستطيع منع نفسي من رؤية التزامك تجاه الانسان العربي الحديث ، هذا الالتزام الواعي الذي يؤمن بالنهاية وبالحياة : بالنهاية التي تحتوي مخارج كثيرة ، وبالحياة المستعمرة الولود • وهذا ما عجز كافكا عن ايجاده والايمان به ، فكان الموت نهاية أبطاله • فان ذكرني الكتاب (بما يحويه من صراع من اجل الحرية — الحلم •• الحرية — الامنية ، ومن نضال ابطال) « باسطورة سيزيف » ، فاني أرى انك لم تجعل « إلحادية الصراع » هدفا لابطالك • فاستلهامك شريف ، غير مزور ، ذلك الانسان هو مع الانسان اولا واخيرا •

« حزن حتى الموت » — دون اشارة تمييز الى أية أقصوصة من أقاصيصه — كتاب جدير بالقراءة ، أتحفت به المكتبة العربية فسددت ثغرة من ثغراتها • جزاك الله خيرا ، ودمتم •

اكس — فرنسا

منذر عياشي

صديقنا الحبيب ، وشيخنا الاديب الاستاذ مدحت عكاش المحترم :

لشد ما كانت فرحتنا عظيمة ، حين تلقينا مجلة الثقافة الشهرية في مدينة « وهران » من أرض الجزائر • فتلقتنا متهافتين عليها ، تهافت الحبيب ، بعد غياب طويل طال أمده • لقد تلقتنا بوجهها المشرق ، تحمل في ثناياها ثمار مشرقنا العربي الحبيب ، وتلقيناها بنفوس ظمأى الى كل جديد ، بفعل نفوسنا بفكره وعلمه وفنه ، كم نحن في حاجة اليه في هذا العصر الذي ساد فيه الفكر والعلم والفن•

فمن قلب كل عربي قرأ مجلتك في « وهران » ، ومن كل نفس عاشقة للفكر والعلم والادب لك تحية اكبار ، لما بذلت — وتبذل — في الاخذ بيد ابناء هذا الجيل من شعبنا في طريق التشجيع والنماء • ولا يسعنا جميعا الا أن نقف من وزير اعلامنا الاستاذ أحمد اسكندر موقف التقدير والاعجاب ، لانها وليدة تقديره ومسعاه • فدمت ، ودامت الثقافة نفحة عطر • وعطاء قلب كريم وكبير في هذه الفترة من تاريخنا الحديث والسلام •

وهران — الجزائر　　　عبد الجبار الكيالي

الاخ الاستاذ رضوان الحزواني المحترم :

— هي أسطر خضبتها برؤاي واحاسيسي لكل ما هو رائق جذاب ، وهي على قصور ما تحمل — لا ترقى الى ما سطرته ، فالعذر العذر والكريم من أغضى وصفح •

ولحماة — أدامها الله وحفظها — قصة تحمل الكثير الكثير من معاني السحر والدلال ، ولذا نظرت اليها عذراء فاتنة يلفها السحر ويكسوها الخفر ضياء واشراقا •

هي أسطري بين يديك • وآمل أن تجد منك قبولا حسنا •

حمـــاة

هذي حماة تجلت في مترافهـــــا
للقلب دنيا عطور من أزاهـــير
عبيرها مـــن خدود الغيد أرشفه
فتنتشي الروح من هـم الدياجير
نهر الخلود شجتـك اليوم أغنيتي
أم أسكرتك ترانيم النواعـــير
بي ما بها من حنين راعش وهوى
للماء ، للحب ، للاحلام ، للنور
لكنما الماء يرويها ويبقى هـوى
للحب يعصف في قلبـي وتفكيري
على ضفافك تجري الغيد ـوالهفي ـ
على عذارى حبيبـــات محاسير
أسبلن جفن الدجى غنجا فأرقنـي
ليل الهوى في أحاسيسي وتعبيري
هواك نبـــه أيامي وغلغـــل في
مسارب الروح يحيي كـل مدثور
خط اسمها في ضمير الغيب أغنية
قد رتلتهـــا الليالي في مزامير
تمور بالطهر تسري رقة وشذى
أنغامها في سماوات من النـــور

علي الاحمد المشهداني ـ حلب

من الشاعر جورج صيدح الى صديقه عيسى فتوح

يا أخا الروح عيسى فتوح :

رسالتك المؤرخة في ٤ ـ ٧ ـ ١٩٧٥ أنعشتني ، كأنها يد المسيح على جبين الشيخ الجريح • شكرا لك سواء تقدمت بالفضل او تأخرت ، وانت في المروءات من أنت •

شكواك من حرفة القلم مردودة ، لانك تطـوعت وتجندت لها مختارا ، وسرت على طريق الشهادة بصـيرا جبارا ، وان أعجب لشيء فهو لسخائك المستمر ، بعدمـا شربت مرارة الصبر • فالكتاب يتبع الكتـاب ، والقهر يتلو القهر ، فلا يفتر عزمك ، ولا يحد من نشـاطك • وكتابك المترجم عن البلغارية لم يصلني بعد، كأنه لم يركب جناح الريح ، بل ظهر السلحفاة المريح ، وعلى الحالين أنت مبرور ومشكور •

الخبر عن أخينا الوجيه (وجيه الخوري) أقـامني وأقعدني ، فما كنت أعلم بمرضه فأترح ، حتـى علمت بنجاته فأفرح :

شفاء محـا ذاك العـذاب المجسمـا
فما عبس المحـزون حتى تبسمـا

أرجو أن تبلغه عاطفتي الاخوية ، وتمنياتي القلبية •

رحلتي الى لبنان كانت مقصورة على مهمة ماليـة عقارية ، تستدعي توقيعي على سند بيع في محكمة جونيه ، يكون خاتمة لصلاتي المادية مع لبنان • ولسوء الحظ دهمتني الاضطرابات غداة وصولي ، وحبستني اسبوعين بـين جدران المنزل ، فلم انجز المهمة الا بعد خمسـة أسابيع تعطلت أثناءها مصالحي في باريس • لم يدر أحد بوجودي في بيروت الا بعد ذهابي ، فكيف تريدني أن أطرق الشام في هذه الازمة ؟ لا حيلة لي فيما يفرضه القدر على البشر •

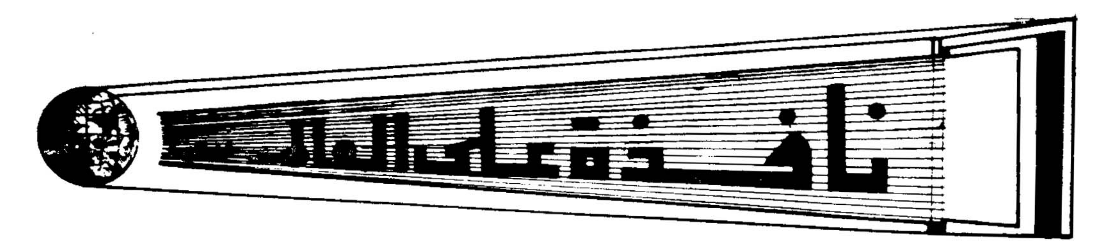
سعد صائب من الوجوه الكريمة التي لا أنساها ، ومن القيم الادبية التي أعرف مداها • ليتك زودتنـي بعنوانه حتى أهديه شيئا من مؤلفاتي ، يذكره بتعارفنـا القصير القديم في دمشق ، ولعله يكون الاسبق الاكرم في اهداء كتابه الاخير الي •

أديب اسحق كان قبلتي وصلاتي في مطلع عمري • أحفظ غيبيا كلاما كثيرا أردده كأنه شعر انشده • كـان استاذي في مدرسة الآسية (عبدو كحيل) يراسله ، ويطلعني على كل رسالة يتسلمها منه • أما شكر الله الجر فقد كتبت اليك سابقا ما أعرف عنه •

وأخيرا صحتي أصبحت محنتي في شيخوختي ، وبعد أن حرمتني طيبات الحياة ، أخشى أن تشل يدي يوما عن الكتابة ، وعيني عن القراءة ، فأصبح أشوق الى الممات • ربنا يلطف بي أن أسترد وديعته منذ الآن ، حتى لا أصير الى هذا المصير ، يا أحب الاخوان •

باريس في ٩ ـ ٧ ـ ١٩٧٥

جورج صيدح



● صدر عن دار الثقافة في دمشق ، ديوان جديد للشاعر محمد منذر لطفي ، عنوانه « حوار مع المهدي المنتظر » يضم الديوان قصائد الشاعر القومية والوطنية ، بدءا من نكسة حزيران وانتهاء بحرب تشرين التحريرية والعودة الى القنيطرة ، وهو الديوان الرابع لهذا الشاعر ، بعد ثلاث مجموعات شعرية صدرت ، هي « أغنية الى حبيبتي » و « من أغاني المطر » و « بابل والضوء الجديد » .

● صدرت عن وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية كتاب « بقعة الضوء » لرياض عصمت ، وهو دراسات تطبيقية في المسرح العربي ، ويعتبر من الكتب القليلة التي تتناول التجارب المسرحية العربية بالنقد والتعريف .

● بدعوة من المركز الثقافي العربي في دمشق ، وبمناسبة اسبوع الثقافة التونسي ، القى توفيق بكار الأستاذ في كلية الآداب بجامعة تونس محاضرة عن الأدب التونسي الحديث .

يتشعب الأدب التونسي في رأيه ، في ثلاث مراحل :
الأولى : تبدأ في آخر العشرينات الى الاستقلال ، والثانية من الاستقلال ، ويعتبر هذه استمرارا للمرحلة الماضية ، أما الثالثة فهي المرحلة الطلائعية .

● « التعليم المبرمج بين النظرية والتطبيق » كتاب للاستاذ « جري يوكزنار » الخبير في شؤون التعليم المبرمج، الذي وضعه بناء على توصية من منظمة اليونسكو ، ترجمه الى العربية الاستاذان فخر الدين القلا ، الأستاذ بكلية التربية بجامعة دمشق ، ومصباح الحاج عيسى ، وراجعه الدكتور فتحي الديب ،

الأديب أحمد دوغان ، صدر له في حلب كتاب عنوانه ، « الحركة الشعرية المعاصرة الكتاب دراسات موجزة عن شعراء من حلب ، وتعريف أكثر ايجازا ، لشعراء آخرين ، وهو لا يخلو من فوائد لدارسي الأدب الحديث في سورية ، غير أن الايجاز أخل بكثير من الفائدة .

● صدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في سورية الكتب التالية :

١ ــ الجزء الثاني من كتاب « قراءة رأس المال » .
٢ ــ العالم الفقير يتحدى،من تأليف غونار ميردال ، وترجمة عيسى عصفور .
٣ ــ الممثلون يتراشقون الحجارة،الفه فرحان بلبل.

● « أشواق الى الابتسام » مجموعة قصصية للاديب الفلسطيني ابراهيم أبو ناب ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، تضم ــ ١٣ ــ قصة ، هي مزيج من الغربة والنضال والطفولة ، وهي نتاج عشر سنوات ، فالقاص نزح عن فلسطين مرتين ، في عام ١٩٤٨و١٩٦٧ .

● « محاكمة مديد القامة » المجموعة القصصية الثانية للاديب الفلسطيني صالح أبو أصبع ، الذي يريد أن يكون تتمة لمسيرة الشهيد غسان كنفاني ، في توظيف الفن من أجل القضية الفلسطينية ، فكل ما يكتبه هذا الكاتب في القصة أو المقالة أو الدراسة أو النقد ، يدور كله في مناخ القضية الفلسطينية .

تضم هذه المجموعة عشر قصص ، كتبت بأسلوب عفوي ومتمكن ، تضع بين يدي القارىء مأساة الانسان الفلسطيني ، من فقد الأرض ، والمؤامرات والفداء والاستشهاد .

● وفي الأرض المحتلة ، صدرت مجموعة شعرية للشاعر الفلسطيني فوزي عبد الله ، عنوانها « الفارس يترجل » وهي قصيدة طويلة استمدت أجواءها من الصوفية الدينية والوقائع التاريخية ، في رمزية شديدة المعاناة والوضوح .

● « الرقص على جثث الجياع » مجموعة شعرية للشاعر الاردني أحمد شقيرات ، صدرت في عمان ، قدم لها الأديب خليل السواحري .

والشاعر ، في قصائده هذه ، قد التزم بقضايا الجماهير العربية وهمومها ، لكن مسحة من الحزن العميق غلفت شعوره فانعكست على قصائده ، غير انها لم تفقده الامل . العيب في شعره ، ان لبعضه أسلوبا تقريريا ، واستعمل الرمز ، محاولا اغناء بعضها الآخر ، الا انه لم يستطع أن يعطي فيها صورا شعرية متكاملة .

● للمؤرخ اللبناني لحد خاطر ، صدر كتاب « العادات والتقاليد اللبنانية » يجمع بين دفتيه ، حكايات طريفة وصورا من عادات وتقاليد الشعب اللبناني .
كان هدف المؤلف من ذلك حفظها من الاندثار .

● تصدر قريبا مجموعة شعرية للشاعر اللبناني ، خليل الحاوي عنوانها « أنت البحر » ، وفي هذه المجموعة عديد من المحاولات الابتداعية للخروج الى شكليات ابداعية اكثر حداثة ، وستصدر بعدها مجموعة شعرية له ، بعنوان « الرؤيا المكبلة » تضم شعره السياسي.

● « الفشل » مجموعة شعرية للشاعرة السورية هيام نويلاتي ، ستصدر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع في بيروت ، وصدرت لها قبل ذلك مجموعة عنوانها « زوابع الأشواق » .

● أعد الناقد محمد دكروب دراسة واسعة عن عمر الفاخوري ، تناول فيها حياته ومصادر ثقافته اللغوية والاجتماعية وأسلوبه الادبي .

● في هذه السنة تمر الذكرى التسعون على وفاة المفكر العربي أديب اسحق ، الذي كان له دور ثقافي واسع في الصحافة والأدب والعمل الاجتماعي .

نزح أديب اسحق الى مصر من لبنان يافعاً ، واتصل بجمال الدين الأفغاني ، ولزم حلقاته ، ليغترف من علمه وآرائه ، من هذه الحلقات ، اندلعت الشرارات الأولى للحرية الفكرية والاجتماعية ·

أصدر أديب اسحق في مصر صحيفة ساعده الأفغاني على اصدارها ، ونشر فيها فصولا بتوقيع « المزهرين الصباح » اعتمد فيها أسلوبا حديثا أنيقا · ثم نقل صحيفته الى الاسكندرية ، بالاتفاق مع سليم نقاش · وعندما عين رياض باشا وزيراً لداخلية عام ١٨٧٩ ، انتقد أديب اسحق سياسته بعنف فأوقفت الحكومة صحيفته عن الصدور ، فغادر مصر وامضى مدة في باريس ، عاد بعدها الى مصر فتابع نشر صحيفته ، ثم عين ناظراً للانشاء والترجمة في وزارة المعارف ، فتفرغ لوظيفته ، ونقل صحيفة الى القاهرة وعهد بادارتها الى شقيقه عوني ، لكن ظل يحرر القسم الأكبر منها ، فتوقفت عن الصدور عند اندلاع ثورة عرابي باشا ·

قبل ذلك ، تولى رئاسة تحرير جريدة التقدم في بيروت ، بالاشتراك مع سليم الخوري وسليم شحادة ·

ألف كتاب « آثار الادهار » وهو موسوعة جغرافية ، تاريخية ، تعد الأولى من نوعها · يعتبر أديب اسحق ، مع أقرانه ، طليعة الحركة الثورية ·

● العدد ٩٧ من سلسلة كتاب اليوم ، كان « الناس والحب » من تأليف الأستاذ ابراهيم المصري ، وفي هذا الكتاب نظرات وتأملات في الوان الحب المختلفة ، يهتدي بها المرء في حياته الوجدانية ·

● « دفتر الألوان » الديوان الرابع للشاعر فتحي سعيد ، صدر في سلسلة « مختارات الجديد » ، التي تنشرها مجلة الجديد في القاهرة ·

● في القاهرة ، صدر كتاب « الجنس في الأدب العالمي » للدكتور صلاح عدس ، وهو دراسة تناولت أهم الأعمال الأدبية التي تعرضت للجنس ، كما تناولت الأبعاد السيكولوجية والمتافيزقية للانسان على مدى التاريخ ، من خلال تصور الأدباء وتجاربهم في الحياة والجنس ·

● أقرت لجنة الدفاع عن حرية الأديب العربي المنبثقة عن الاتحاد العام للادباء العرب ، لائحتها الأساسية ، وبدأت تمارس مهمتها في الدفاع عن حرية التعبير عندما يتعرض أديب أو مثقف عربي لأي نوع من الضغط ·

ولقد جاء في بيانها الذي أصدرته فيختام اجتماعاتها في القاهرة ، ان للجنة الحق في أن تتخذ الاسلوب الملائم لحماية حرية التعبير ·

والجدير بالذكر أن هذه اللجنة مؤلفة من مندوبي سورية ومصر والجزائر ولبنان والعراق وفلسطين ·

● « حكاية من وادي الملح » مسرحية شعرية ، الفها محمد مهران السيد ، صدرت عن مجلة الاذاعة والتلفزيون في القاهرة ، والمسرحية تصور حياة فلاح مصري قديم تعرض لظلم أحد الأشراف ، وقد التقطها المؤلف من التراث المصري القديم ، وحولها الى حوار شعري حديث ، أكسبها أبعادا جديدة ·

● السندباد العصري الدكتور حسين فوزي ، عاد بعد احتجاب دام أكثر من سنتين ، فاصدر كتابيه ، « مأة سيمفونية » و « السندباد العصري يعود الى الهند » استعرض في كتابه الأول ، أهم الأعمال السيمفونية ، الذي مهد له بكتاب آخر عن الموسيقى ·

● « النقد والنقد الأدبي » كتاب جديد للدكتور رشاد رشدي ، يشير فيه الى ان فهمنا للادب قد ساء في القرن العشرين أكثر من أي وقت مضى ·· نريد من الأعمال الأدبية ان تحقق لنا أشياء ليست من وظيفة الأدب ·

وهذا الكتاب ، هو ثالث كتب ، صدرت للدكتور رشدي في آن واحد ، هي : فن الدراما وفن القصة القصيرة ، فالدكتور رشدي متعدد النشاطات في مصر ، فهو عميد كلية الفنون والمسرح ، وكاتب مسرحي ، ويشرف على دار ومجلة الجديد ويرأس تحريرها ·

● الجديد في الروائي العربي المعروف « نجيب محفوظ » انه الف القصة القصيرة المكثفة ، فقد صدرت له ، عن دار مصر للطباعة ، مجموعة قصصية عنوانها « حكايات من حارتنا » في ١٨٩ صفحة ·

● فرانز فانون والثورة الجزائرية » كتاب من تأليف الأديب محمد الميلي ، صدر عن الشركة الوطنية للتوزيع في الجزائر ، درس فيه المؤلف شخصية المناضل المفكر « فانون » ودوره في الثورة الجزائرية ·

● وصدر في الجزائر كتاب من تأليف ابن عمار الصغير ، عنوانه « التفكير العلمي عند ابن خلدون » ، درس فيه المؤلف المناهج العلمية والاجتماعية في مقدمة ابن خلدون ·

● الكاتب التونسي أبو القاسم كرو ، بعد دراسة واسعة عن الشاعر أبي القاسم الشابي ، تشمل هذه الدراسة شخصيات عدد من أصدقاء الشابي ومفكري عصره في تونس ، منهم الطاهر الحداد ، ومصطفى خريف وزين العابدين السنوسي ·

● « الحياة الثقافية » مجلة أدبية ثقافية جامعة شهرية أصدرتها وزارة الشؤون الثقافية في تونس ·

● « المثقفون والأنثى في الحضارة » كتاب من تأليف مصطفى النميري ، صدر عن مطابع دار الكتاب في المغرب ، يعالج فيه مؤلفه ، قضايا فكرية وجمالية · وظاهرة الحرب والتصفية الجسدية ، وتحدث عن المرأة ، ورأى انها نالت من المكاسب في ظل الفكر الاشتراكي ، اكثر مما نالته تشريعيا واقتصاديا ، ثم عالج موضوع الفنون الشعبية ·

● أحمد طالب الابراهيمي ، الذي شغل وزارة التعليم في الجزائر فترة طويلة ، صدر له كتاب عنوانه « من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية » يقدم فيه نموذجا واضحا لمحاولة الاستعمار محو شخصية الشعب الجزائري بأكمله ، ويقرر ان الثقافة الوطنية الجزائرية لم تضمحل أمام عوامل الطمس والتشويه ، ويطرح المؤلف كثيرا من القضايا التي تتعلق بالثورة الثقافية ، وأهمها قضية التعامل مع التراث ، والثقافة الغربية ، فهو يتحفظ من هاتين القضيتين ، ويرى ان نحتفظ من التراث بكل ما يمكن ان يخدم الحاجات الوطنية الأساسية ، وتطرح ما فيه من خرافات واباطيل ··

● الكاتب الجزائري عثمان السعدي الذي حمل البندقية مناضلا في الثورة الجزائرية ، حمل القلم ، بعد انتصار الثورة ، فنشر مجموعته القصصية الأولى ، بعنوان «تحت الجسر المعلق» صور فيها معاملة فرنسا للجزائريين، وكشف بعضا من اسرار الثورة وانتصاراتها ٠

● « قادة الفكر الاسلامي عبر القرون » كتاب من تأليف الكاتب السعودي عبد الله بن أسعد الرويشد ، أرخ قيد الفكر الاسلامي واشهر أعلامه ، منذ القرن الثاني الهجري الى اليوم ، قدم له الكاتب المصري مصطفى عبد اللطيف السحرتي ٠

● عن مكتبة عيسى البابي الحلبي في القاهرة ، صدر كتاب عنوانه « الامام الشيخ محمد عبد الوهاب في التاريخ » من تأليف عبد الله أسعد الرويشد يتضمن دراسة وافية عن حياة الشيخ صاحب الدعوة الوهابية وأصول دعوته وفتاويه ومؤلفاته ، وآراء الباحثين في دعوته ٠

● يعد الشاعر السعودي محمد العامر الرميح ، رسالة لنيل الدكتوراه ، عن الرمزية في الكتب المقدسة ٠

● عهدت وزارة الاعلام العراقية ٠ الى الشاعر شفيق الكمالي ، باجراء اتصالات بالادباء والمفكرين العرب ، من اجل اصدار مجلة فكرية شهرية في بغداد ، تتجاوز في مستواها الفكري والشكلي ، المجلات التي تصدر في الوطن العربي ، من حيث المعالجة العميقة لقضايا الفكر بعامة ، والفكر العربي بخاصة ، وستولي المجلة اهتماما واسعا بالنقد للخروج به من فوضى الأحكام المبتسرة والانطباعية التي اساءت الى القيم الفنية ٠

● « الرحيلَ في الدروب النائبة » مجموعة شعرية جديدة للشاعر العراقي ، عبد الخالق فريد ، صدرت عن مطابع الزهراء في القاهرة ، وهي المجموعة التاسعة له ، السمة البارزة في قصائد هذا الشاعر ، هي الجوع الجنسي والظمأ والشبق ، الا أنه في هذه المرة ، عرف طريقه الجديد الى الوطن ، دون أن يبتعد عن طريقه القديم الى الغزل والمرأة وجسدها ٠

● صدرت المجموعة القصصية الرابعة ، للقاص العراقي خضير عبد الأمير ، بعنوان «كانت هناك حكاية» ٠ حاول فيها التخلص من تأثيرات الآخرين ، وبناء عالمه القصصي المميز ، فركز على اجواء غريبة هي مزيج من الأسطورة والوهم ، في سبيل البحث عن حكمة تترك أثرها في القارىء ٠ فلم يستطع ان يوظف أفكاره في قصص ناجحة ، فغرق في الوصف والمرادفات ٠

● « وفجأة ابدأ بالصراخ » مجموعة قصصية للاديبة العراقية سهيلة داود سلمان ، صدرت عن المكتبة العصرية في بيروت ، وسبق للاديبة ان نشرت مجموعتها القصصية الأولى قبل ثلاث سنوات ٠

● كان العدد — ٧٠ — من سلسلة المسرح العالمي التي تصدرها وزارة الاعلام في الكويت ، مسرحيتين لبرتولف برشت ، هما « طبول في الليل » وحياة « جاليليو » ترجمها وقدمها الدكتور عبد الرحمن بدوي٠ الأولى : سياسية وقعت حوادثها في الظروف التاريخية لألمانيا عند نهاية الحرب العالمية الأولى ، أما الثانية ، فقد حاول المؤلف ان يصور حياة جاليليو الفيزيائي والكيميائي والفلكي المعروف ، من خلال لمسات بارعة اضفاها المؤلف على حياته ٠

● الكتاب السوفييت يلعبون دورا هاما ومؤثرا في الوفاق الدولي وفي طليعتهم الشاعر والكاتب المسرحي « اناتولي سفرونيوف » ، وهو وجه ادبي معروف ، يشغل منصب رئيس تحرير مجلة (اوغونيوك) ٠ تمتاز مسرحياته باحتوائها على شعبية عريضة جدا ، في الاتحاد السوفياتي ٠

● صدر عن دار العلم كتاب « تشيخوف بين القصة والمسرح » من تأليف بيكين ولاكشين وسكاتيموف » قدموا فيه الأبعاد التي تنطوي عليها شخوص تشيخوف ولغته الفنية ٠ فقد عمد بيلكين الى استخلاص معايير جمالية مذهبية من الفرص الواقعية لأدب تشيخوف الذي تمكن من أن ينقل الحياة اليومية والشؤون الصغيرة في وجود وسلوك الأشخاص الى معاني تحمل الطابع السيكولوجي والاجتماعي والفلسفي ايضا ، اما سكاتيموف ، فقد تحدث عن بناء المسرحية لدى تشخوف ، ووجد ان ثمة حركة داخلية خلف الأحداث اليومية الظاهرة ٠ وقد اتجه لاشكين الى دراسة اللون السيكولوجي فيمسرحياتتشخوف٠

● وصدر عن دار النشر الفرنسية « فران » ترجمة لكتاب الدكتور طه حسين « الفتنة الكبرى — عثمان » ترجمه الى الافرنسية الأستاذ أنور لوقا ، وقدم له الدكتور لوي كارديه ٠

تعتبر هذه أول ترجمة لكتب الدكتور طه حسين التاريخية ، الى الفرنسية ، فقد عرف في فرنسا ، قاصا وروائيا من خلال ترجمة كتبه القصصية ، « الأيام » و « دعاء الكروان » و « المعذبون في الأرض » ٠

● وفي كاليفورنيا ، صدرت موسوعة ضخمة باللغة الانكليزية ، للشعر العربي المعاصر ، وفيها دراسات مستفيضة عن الشعر العربي ومميزاته وتحولاته ، وبحوث عن الشعر الحديث ٠

تضم هذه الموسوعة قصائد لجبران ، ونعيمة ، ومطران ٠ وعلي محمود طه المهندس ، والسياب والشابي والبياتي وغيرهم٠ ترجمها الى الانكليزية الدكتور منح خوري وحامد الجار ، والجدير بالذكر ، ان الموسوعة تضم ، القصائد بالنصين العربي والانكليزي ٠

● جان بول سارتر ، الذي اوشك ان يفقد بصره نهائيا ، اجرى معه الناقد الفرنسي « ميشال كونتا » حديثا نشرته مجلة « نوفيل اوسبرفاتور » تحدث فيها الفيلسوف عن نفسه وتجربته الفلسفية والفنية وعن المرأة والموسيقى ٠٠ ولعل أهم ما قاله سارتر : ان اصابتي شبه الكاملة بالعمى ، تفقدني أي معنى للبقاء ٠ كنت موجودا ولم أعد الآن موجودا ٠

● اقيم مؤخرا في مدريد ، معرض للكتاب السنوي فاز فيه ، الكتاب الذي اعده الصحفي الاسباني «جوسي بلوذا ميلاسان جون » عن الشاعر الاسباني غارسيا كافكا ، الجديد في هذا الكتاب هو اختيار الكاتب لقصيدة « غرناطة » للشاعر العربي يوسف عز الدين ، لتكون مقدمة للكتاب ٠